علم

الموصول لفظا المفصول معنى

وأثره في التفسير

إعداد

الدكتور/ محمود خليفة محمود حفناوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم أصول الدين

كلية العلوم الإسلامية الأزهرية للوافدين

بالقاهرة

علم الموصول لفظا المفصول معنى وأثره في التفسير

محمود خليفة محمود حفناوي

قسم أصول الدين. كلية العلوم الإسلامية الأزهرية للطلاب الوافدين بالقاهرة. جامعة الأزهر. مصر.

البريد الإلكتروني: dr.m.alhefnawy@gmail.com

الملخص:

كثرت علوم القرآن الكريم التي لا غنى للمفسر عن استصحابها في تفسير القرآن الكريم، ومن هذه العلوم علم متصل اللفظ منفصل المعنى في القرآن الكريم، ولم ينل هذا العلم حظه من الاستيعاب والتفصيل في كتابات علماء علوم القرآن، حيث ورد في كتب علوم القرآن الكريم في وريقات يسيرة، ومن ثم جاءت هذه الدراسة التي أردت فيها استقصاء أمثلته في كتاب الله تعالى والوقوف عند شرحها وتحليلها وتجليتها أمام مريد التفسير، وأثر معرفة هذه العلم الجليل من علوم القرآن في التفسير، وقد جاء هذا البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة: المقدمة واشتملت على البسملة والحمدلة والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأسباب اختيار الموضوع والخطة التي سرت في ضوئها للتوصل إلى مقصودي من هذا البحث. ثم الفصل الأول وبينت فيه التعريف بهذا العلم، وأشهر من ألف فيه، وأهميته، وصلته بمبحث الفصل والوصل من علوم البلاغة، وصلته بعلم الوقف والابتداء، وذكر عيون أمثلته من القرآن الكريم، والفصل الثاني وقسمته ثلاثة مباحث: أولها في ما تعين اتصاله، وثانيها في ما احتمل الاتصال والانقطاع، وثالثها في ما تعين انقطاعه، وذكرت تحت كل قسم أمثلته من القرآن الكريم، ثم الخاتمة

وتناولت فيها أهم النتائج والتوصيات التي بانت لي من خلال معايشتي لهذا البحث، ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع التي استقى منها مادته العلمية.

المنهج: اتبعت في هذا البحث المنهج التكاملي(الاستقرائي– التحليلي – النقدي – المقارن)

النتائج: علم متصلات المباني منفصلات المعاني في القرآن الكريم من العلوم التي تستأهل أن تكون علما برأسه في علوم القرآن، كما أنه لا غنى للمفسر عن تحصيل هذا العلم قبل الخوض في غمار التفسير، وهو باب كبير من أبواب الوقف والابتداء في القرآن الكريم لا يتم المعنى إلا بمراعاته، إذ له كبير الأثر في توليد المعاني من آيات القرآن الكريم، فمراعاة هذا العلم تحل الكثير من الإشكالات الموهمة التي تخالف الهدي القرآني، وترد على بعض الشبهات التي تثار حول بعض الآيات الكريمة.

التوصيات: توجيه طلاب العلم من المقدمين على تسطير رسائل جامعية للماجستير والدكتوراه إلى الاهتمام بهذا الجانب من جوانب البحث في القرآن الكريم وعلومه، إعداد مقرر دراسي يهتم بالوجوه البلاغية في القرآن الكريم يدرس على طلاب الإجازة العالية في كليات الجامعة الأزهرية ليوقف الطالب على هذه الجوانب المضيئة من العلم، وتضمين كتب التجويد التي تدرس على الطلاب بعض أمثلة هذا العلم الجليل من علوم القرآن للوقوف على هذا النوع من أنواع الوقف والابتداء ومن ثم مراعاته في القراءة بعد ذلك.

الكلمات المفتاحية: علم الموصول – لفظا – المفصول معنى – التفسير.

The science of the word "separated" meaning and its effect on interpretation

Mahmoud Khalifa Mahmoud Hefnawi

Debt Assets Section. Al-Azhar Islamic Science College for Students arriving in Cairo. Al-Azhar University. Egypt.

E-mail: dr.m.alhefnawy@gmail.com

Abstract:

There is a lot of sciences of the Qur'an that are indispensable to the interpreter about their association in the interpretation of the Qur'an, and from these sciences a science related to the word separate meaning in the Holy Quran, and this science did not get its luck of assimilation and detail in the writings of the scholars of the Qur'an sciences, where it is mentioned in the books of the Sciences of the Holy Quran in a small vein, and then came this study in which I wanted to survey his examples in the Book of Allah almighty and stand when explaining, analyzing and manifesting it in front of the want of interpretation, and the effect of knowing this great science from the sciences of the Qur'an in the interpretation,

This research was presented in two chapters and a conclusion: the introduction included basmala, praise and prayer for the Prophet Muhammad, the reasons for choosing the subject and the plan in which it was followed to reach a purposeful conclusion from this research. Then the first chapter showed the definition of this science, and the months of a thousand in it, and its importance, and its connection to the research of separation and connection of the sciences of rhetoric, and its connection to the science of endowment and initiation, and mentioned the eyes of his examples of the Holy Quran, and the second chapter and divided it into three investigations: the first In what had to be contacted, the second in what I could contact and interruption, and the third in what had to be interrupted, and mentioned under each section his examples of the Holy

Quran, and then the conclusion and addressed the most important results and recommendations that were made to me through my living of this research, and then The research was followed by an index of sources and references from which his scientific material was derived.

Approach: I followed in this research the integrative approach (inductive- analytical- critical- comparative)

Results: The science of the connections of buildings separate meanings in the Qur'an is one of the sciences that deserves to be a flag in the sciences of the Qur'an, and it is indispensable for the interpreter to collect this science before going into the context of interpretation, which is a large section of the waqf and the beginning of the Holy Quran is only meant by its considerations, as it has a great impact in generating meanings from the verses of the Holy Quran, taking into account this science solves many of the delusional problems that contradict the Qur'anic guidance, and responds to some Suspicions are raised about some of the precious verses.

Recommendations: Directing students of science from the presenters to underline university letters for master's and doctoral degrees to pay attention to this aspect of research in the Qur'an and its sciences, preparing a course that cares about the rhetorical faces in the Qur'an to study on students of high leave in the faculties of al-Azhar University to stop the student on these luminous aspects of science, and include intonation books that teach students some examples of this great science of Qur'an science to identify this type of endowment and initiation and then take into account it to read afterwards.

Keywords: The science of connected - verbally - separated meaning - interpretation.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فوق كل شيء وليس تحته شيء وهو في كل شيء ليس كشيء في شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ليس بجسم ولا صورة ولا معدود ولا محدود ولا متحرك ولا متلون ولا متناه ولا متكلف ولا يسأل عنه سبحانه بمتى كان.

فهو الجليل والجميل والولي ...والظاهر القدوس والرب العلي

أشهد أن لا إلاه إلا هو الحي القيوم الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله إلى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد فصلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا

وبعد

فإن علوم القرآن الكريم على تنوعها وكثرتها قد احتل منها علم الوقف والابتداء مكانة عالية ومنزلة رفيعة، لأن به فهم كتاب الله تعالى، والبحث على درره، والوقوف عند معانيه سواء أكانت أولية أو ثانوية، فبه يظهر للسامع والقارئ المعنى الأكمل الأتم من كتاب الله تعالى، وبمخالفته والاستغناء عنه جهلا أو غفلة أو كبرا أو ازدراء تختلف معاني الكتاب الكريم عما أراده الله تعالى، حتى يصل الأمر إلى أن مراعاة الوقف والابتداء في آية واحدة ربما يكون هو الفيصل بين الإيمان والكفر.

هذا وقد تفرع عن هذا العلم الجليل من علوم القرآن علم آخر يقع منه موقع الواسطة من العقد أو موقع العين من الإنسان، وهو علم الموصول لفظا المفصول معنى فهو لدقته وخفائه وأهميته وجلالته بالنسبة إلى علم الوقف والابتداء كان منه بمثابة الإنسان للعين وبمثابة العين للإنسان.

ومن هنا آثرت أن يكون بحثي هذا في سبر هذا العلم، والتنقيب في معانيه، واستخرج آياته من كتاب الله تعالى، فجاء عنوان البحث "علم الموصول لفظا المفصول معنى وأثره في التفسير" وقد كان من أسباب اختياري للموضوع ما يلي:

- أهمية هذا العلم لفهم القرآن الكريم فهما صحيحا واستخراج معانيه التامة.

- حل مشكلات عويصة قد تقع إذا لم يراع هذا العلم في أثناء التلاوة.

- كشف اللثام عن علم جليل من علوم القرآن الكريم أفرده السيوطي وابن عقيلة المكي بنوع مستقل من أنواع علوم القرآن.

- كشف اللثام عن صلة هذا العلم بمبحث الفصل والوصل من علم البلاغة.

- كشف اللثام عن صلة هذا العلم بعلم الوقف والابتداء في القرآن الكريم

- جمع عيون الأمثلة التي تنتمي إلى هذا العلم في مؤلف واحد بدلا من انتثاره في مؤلفات عديدة.

أما عن الخطة التي سرت في ضوئها نحو التوصل إلى مقصودي من هذا البحث فقد جاءت في مقدمة وفصلين وخاتمة: المقدمة وتشتمل على البسملة والحمدلة والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأسباب

اختيار الموضوع والخطة التي سرت في ضوئها للتوصل إلى مقصودي من هذا البحث.

ثم الفصل الأول وعنوانه حدود هذا العلم وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: في التعريف بهذا العلم.

المبحث الثاني: في أشهر من ألف فيه.

المبحث الثالث: في أهميته.

المبحث الرابع: في صلة هذا العلم بمبحث الفصل والوصل من علوم البلاغة.

المبحث الخامس: في صلة هذا العلم بعلم الوقف والابتداء من علوم القرآن.

المبحث السادس: في ذكر عيون أمثلة هذا العلم في القرآن الكريم.

ثم الفصل الثاني وعنوانه: أقسام الموصول لفظا المفصول معنى وأمثلته في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في القسم الأول منه وهو ما تعين اتصاله وفيه خمسة عشر مطلبا.

المبحث الثاني: في القسم الثاني منه وهو ما احتمل الاتصال والانقطاع وفيه خمسة مطالب.

المبحث الثالث: في القسم الثالث منه وهو ما تعين انقطاعه وفيه ثلاثة مطالب:

ثم الخاتمة وتناولت فيها أهم النتائج والتوصيات التي بانت لي من خلال معايشتي لهذا البحث ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع التي استقى منها البحث مادته العلمية، والله من وراء قصدي وهو حسبي تعالى ونعم الوكيل، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الله تعالى المعبود.

الفصل الأول

مبادئ علم الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: في التعريف بهذا العلم

المبحث الثاني: في أشهر من ألف فيه

المبحث الثالث: في أهميته

المبحث الرابع: في صلة هذا العلم بمبحث الفصل والوصل من علوم البلاغة

المبحث الخامس: في صلة هذا العلم بعلم الوقف والابتداء من علوم القرآن

المبحث السادس: في ذكر عيون أمثلة هذا العلم في القرآن الكريم

المبحث الأول: في التعريف بهذا العلم "الموصول لفظا المفصول معنى "

قبل أن نخوض في غمار هذا البحث والذي نتناول فيه علما جليلا من علوم القرآن الكريم وهو علم الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم، لابد أن تكون لنا وقفة مع التعريف به وعبارات العلماء في حده ومسماه، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

لم يكن علم موصول المبنى مفصول المعنى في القرآن الكريم علما مستقلا من علوم القرآن الكريم، كغيره من العلوم التي ألف فيها العلماء مثل علم الناسخ والمنسوخ وعلم المكي والمدني وعلم أسباب النزول، حتى جاء جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي وأفرده بنوع مستقل من أنواع علوم القرآن الكريم في كتابه الإتقان في علوم القرآن، وعرفه بقوله: هو نوع مهم جدير أن يفرد بالتصنيف وهو أصل كبير في الوقف، ولذلك جعلته عقبه وبه يحصل إشكالات وحل معضلات كثيرة [1].

ولم يزد السيوطي رحمه الله في التعريف بهذا العلم على ما قال آنفا.

غير أني تتبعت أقوال العلماء قبله حتى أبرز له عندهم تعريفا كغيره من أنواع علوم القرآن فوجدت أن العلامة ابن الجوزي قد ذكره في كتابه "المدهش" بقوله: وقد تأتي بكلمة إلى جانب كلمة كأنها معها وهي غير متصلة بها في القرآن كقوله تعالى {يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُم} [الأعراف: ١١٠] هذا قول الملأ فقال فرعون {فَمَاذَا تَأْمُرُون} [الأعراف: ١١٠]

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحقيق مركز الدراسات القرآنية ٥٧٦/٢

ومثله {أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِين} [يوسف: ٥١] فقال يوسف{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْب} [يوسف: ٥٢]ومثله { إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّة} [النمل: ٣٤] انتهى كلام بلقيس فقال الله عز وجل{وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون} [النمل: ٣٤] ومثله " {مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} [يس: ٥٢] " انتهى قول الكفار فقالت الملائكة {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ } [يس: ٥٢] [١].

وذكر رحمه الله تعالى في كتابه فنون الأفنان إشارة إلى هذا العلم أيضا فقال: ذكر بعض العلماء مواضع في القرآن الكريم يحسن الوقف عليها ولا يحسن أن يوصل الكلام فيها بما بعده في البقرة " {وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون} [البقرة: ٢٧٤] " فيقف ثم يبتدأ {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا} [البقرة: ٢٧٥]

وفي آل عمران{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّه} [آل عمران: ٧] يقف ثم يبتدأ {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْم} [آل عمران: ٧]...إلخ[٢].

١- المدهش لأبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي ت ٥٩٧هـ، ضبط وتصحيح د. مروان القباني، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٤٦=٢٠٠٥، ص٣٨

٢- عجائب علوم القرآن لأبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن علي بن جعفر الجوزي ت٥٩٧هـ، تحقيق د. عبد الفتاح عاشور، ط الزهراء للإعلام العربي، ط ١ ،١٤١٥= ١٩٩٥، ص١٦٢

وعرفه ابن قتيبة الدينوري بقوله: ومن – مخالفة ظاهر اللفظ معناه – أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان. ثم سرد له عدة أمثلة [١].

وأشار إلى هذا لعلم الإمام الزركشي بقوله: وقد يكون اللفظ متصلا بالآخر والمعنى على خلافه كقوله تعالى {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّة} [النساء: ٧٣] فقوله" كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّة " منظوم بقوله {قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ} [النساء: ٧٢] لأنه موضع الشماتة ثم ساق باقي الأمثلة [٢].

وقال السيوطي في التحبير: ومن الوقف ما يتأكد استحبابه وهو ما لو وصل طرفاه لأوهم خلاف المراد، وبعضهم عبر عنه بالواجب، ومراده ما تقدم نحو" {وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ} [يونس: ٦٥] ويبتدئ {إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [يونس: ٦٥] لئلا يوهم أن ذلك مقول القول [٣].

من جملة ما سبق يمكن أن نستخلص لهذا العلم تعريفا اصطلاحيا مفصلا نجمع فيه كلام من سبق من العلماء فنقول: الموصول لفظا

١- تأويل مشكل القرآن لعبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزي الدينوري ت ٢٧٦هـ، شرح السيد أحمد صقر، ط المكتبة العلمية بيروت، ط ٣، ١٤٠١= ١٩٨١، ص ٢٧٥، ٢٩٤

٢- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت٧٩٤ هـ، ط مكتبة التراث ١٣٧٦=١٩٥٧، ١/ ٥٠

٣- التحبير في علوم التفسير لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٨= ١٩٨٨، ص٨٣

المفصول معنى في القرآن الكريم هو مجيء كلمة إلى جوار كلمة كأنها معها ظاهرا أو مجيء جملة إلى جوار جملة كأنهما قول واحد وهما قولان بحيث لو وصلا لأوهما خلاف المراد فيحسن فصلهما دون وصلهما حتى يستقيم المعنى ويظهر المراد، ويمكن أن نعرف هذا العلم تعريفا موجزا فنقول: اتصال لفظ بآخر ظاهرا والمعنى على خلافه.

وعرفه الدكتور إبراهيم خليفة بقوله: وحاصل هذا النوع في أمرين:

أحدهما: أن يتبادر معنى لا يصلح أن يكون مرادا ويندفع الإشكال بحمله على آخر.

ثانيهما: أن يتوهم أن صاحب الكلام واحد فيندفع هذا التوهم ببيان قائله. والمعنى الجامع لهما هو قطع آخر الكلام عن أوله لحكمة [1].

---

[1] – الموسوعة القرآنية المتخصصة، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م، ص١٩٨

المبحث الثاني: أشهر من ألف فيه

لم ينل علم الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم ما ناله غيره من العلوم من الذيوع والشهرة وكثرة المؤلفات، فلم يعدو ما كتب فيه شذرات يسيرة وإشارات وميضة أوردها بعض العلماء في كتبهم، فكان أول إشارة إلى هذا العلم في كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة رحمه الله تعالى حيث عرفه وذكر له أمثلة [١].

ثم جاء بعده أبو الفرج ابن الجوزي وذكره في كتابه المدهش فعرفه أيضا وذكر له عدة أمثلة [٢].

وأشار إليه في كتابه فنون الأفنان ضمن علم آداب الوقف والابتداء [٣].

وذكره العلامة بدر الدين الزركشي في كتابه البرهان ضمن نوع المناسبات فعرفه وذكر له بعض الأمثلة في القرآن الكريم [٤].

ولما قدر الله تعالى لكتاب الإتقان أن يخرج إلى النور على يد مؤلفه جلال الدين السيوطي أفرد السيوطي لهذا النوع علما مستقلا من أنواع علوم القرآن، بعد أن كان يذكر في ثنايا كلام العلماء فذكره في النوع التاسع والعشرين وسماه الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم [٥].

١- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٢٩٤

٢- المدهش لابن الجوزي ص٣٨

٣- التحبير للسيوطي ص٨٣

٤- البرهان في علو م القرآن للزركشي ٥٠/١

٥- الإتقان في علوم القرآن ٥٧٦/٢

وتابعه على هذا الصنيع العلامة ابن عقيلة المكي في كتابه الزيادة والإحسان فأفرد هذا العلم بنوع مستقل وذكره في النوع التاسع والسبعين وسماه علم الموصول لفظا المفصول معنى [١].

كما كتب في هذا العلم الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة ضمن الموسوعة القرآنية المتخصصة ونقل فيه كلام السيوطي وبعض العلماء [٢].

١- الزيادة والإحسان في علوم القرآن للإمام محمد بن أحمد بن عقيلة المكي ت١١٥٠هـ، تحقيق فهد علي العندس – إبراهيم محمد محمود –مصلح عبد الكريم السامري – خالد عبد الكريم اللاحم – محمد صفاء حقي، ط مركز تفسير للدراسات القرآنية الرياض، ط٢، ١٤٣٦= ٢٠١٥، ٤٧٧/٣

٢- الموسوعة القرآنية المتخصصة إشراف د. محمود حمدي زقزوق، يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م، ص ١٩٨

المبحث الثالث: في أهميته

علم الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم له مكانة مرموقة بين علوم القرآن الكريم، وأهميته جليلة لقارئ القرآن الكريم وسامعه ومفسره، يستمد هذه المكانة وتلك المنزلة من كونه تبعا لعلم الوقف والابتداء، إذ هو فرع عنه كما ذكر السيوطي في الإتقان، والثاني أصل له فما يناله علم الوقف والابتداء من حظوة وقدر بين علوم القرآن الكريم فلعلم الموصول لفظا المفصول معنى نصيب منها.

ولقد كتب العلماء في أهمية علم الوقف والابتداء كثيرا يمكن أن نجمل كلماتهم في السطور الآتية:

- بمعرفة الوقف والابتداء تتجلى معاني القرآن الكريم واضحة وتظهر مقاصده الجليلة.

- قال القسطلاني: ولا مرية أن بمعرفتها – الوقف والابتداء – تظهر معني التنزيل وتعرف مقاصده، وتستعد القوة المفكرة للغوص في بحر معانيه على درر فوائده [1].

- يتوقف على المعرفة بعلم الوقف والابتداء معرفة أداء القرآن الكريم وتبيين معانيه ويحترز به عن الوقوع في المشكلات.

---

[1]- لطائف الإشارات لفنون القراءات للحافظ أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني ت٩٢٣هـ، تحقيق عبد الرحيم الفرهوني، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م، ٣٦٦/١

- قال الزركشي: فهو فن جليل وبه يعرف كيفية أداء القرآن ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات ويؤمن من الاحتراز عن الوقوع في المشكلات [١].

- معرفة الوقف والابتداء تعين على معرفة إعراب القرآن الكريم وتفهم معانيه

قال أبوبكر الأنباري: ومن تمام معرفة إعراب القرآن الكريم ومعانيه وغريبه معرفة الوقف والابتداء فيه، فينبغي للقارئ أن يعرف الوقف التام والوقف الكافي الذي ليس بتام والوقف القبيح الذي ليس بتام ولا بكافي ... إلى أن قال وغير ذلك من أبواب الوقف والابتداء [٢].

- بمعرفة الوقف والابتداء يتم ترتيل القرآن الكريم وقراءته على ما أراد الله تعالى.

قال ابن الجزري رحمه الله : لمتا لم يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقت للتنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء الابتداء بعد التنفس والاستراحة، وتحتم ألا يكون ذلك مما يخل بالفهم إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد، ولذلك حرص الأئمة على تعلمه ومعرفته كما قدمنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله:

١- البرهان ٣٣٩/١

٢- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل للعلامة أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ت ٣٢٨هـ، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط ١٣٩١=١٩٧١، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٠٨/١: ١١٠

الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف، وروينا عن ابن عمر رضي الله عنه قال : لقد عشنا برهة من دهرنا وإن لأحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على النبي صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها[١].

- بمعرفة الوقف والابتداء تتبين مذاهب العلماء في القرآن الكريم وتتضح الأحكام

قال الأشموني: قال النحاس بعد أن أورد الأثر السابق المروي عن ابن عمر رضي الله عنهما : فهذا يدل على أنهم كانوا يتعلمون الوقوف كما يتعمون القرآن، حتى قال بعضهم: إن معرفته تظهر مذهب أهل السنة من مذهب المعتزلة كما لو وقف على قوله {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَار} [القصص: ٦٨] فالوقف على " وَيَخْتَار " هو مذهب أهل السنة لنفي اختيار الخلق لاختيار الحق فليس لأحد أن يختار بل الخيرة لله تعالى.

وقال ابن الأنباري: من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء إذ لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن إلا بمعرفة الفواصل [٢].

١- النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري ت٨٣٣هـ، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، ط دار الكتب العلمية بيروت بدون ١/٢٢٤،

٢- منار الهدى في معرفة الوقف والابتدا للعلامة أحمد بن محمد عبد الكريم الأشموني، ط مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ط٢ ١٣٩٣، = ١٩٧٣، ص٥

قال السيوطي: عن علي في قوله تعالى " ورتل القرآن ترتيلا" قال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، وقال ابن الأنباري: من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه [١].

قال ابن عقيلة في الزيادة والإحسان: وقد قال الهذلي في كامله: الوقف حلية التلاوة، وزينة القارئ، وبلاغ التالي، وفهم للمستمع، وفخر للعالم، به يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين والنقيضين المتنافيين والحكمين المتغايرين، وقال أبو حاتم: من لا يعرف الوقف لا يعلم القرآن[٢].

ولقد أحسن العلامة الصفاقسي عندما ذكر الوقف والابتداء فقال: ومعرفة الوقف والابتداء متأكد غاية التأكيد إذ لا يتبين معنى كلام الله تعالى على أكمل وجه إلا بذلك، فربما قارئ يقرأ ويقف قبل تمام المعنى فلا يفهم هو ما يقرأ ولا من يسمعه كذلك، ويفوت بسبب ذلك ما لأجله يقرأ كتاب الله تعالى، ولا يظهر من ذلك وجه الإعجاز بل ربما يفهم من ذلك غير المعنى المراد وهو فساد عظيم، ولهذا اعتنى بعلمه وتعليمه والعمل به المتقدمون والمتأخرون، وألفوا فيه الدواوين المطولة والمتوسطة والمختصرة ما لا يعد كثرة من لم يلتفت لهذا ويقف أين شاء فقد خرق الإجماع، وحاد عن إتقان القراءة وتمام التجويد وهو الغالب في قراء زماننا فإياك إياك [٣].

١- الإتقان ٥٤١/٢

٢- الزيادة والإحسان ٤١٣/٣

٣- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين للعلامة أبي الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي ت١١١٨هـ، تقديم محمد الشاذلي النيفر، نشر مؤسسة عبدالكريم عبد الله ص١٢٩

من كل ما سبق يتضح أن لعلم الوقف والابتداء أهمية قصوى في معرفة معاني الكتاب الكريم وفي التفريق بين مذاهب العلماء والقراء ومشاربهم وفي فهم مراد الله تعالى وإظهار معانيه وأحكامه.

ومعلوم كما ذكرت سابقا أن علم الموصول لفظا المفصول معنى ينتمي إلى علم الوقف والابتداء فهو فرع عنه وهو بهذا ينال هذه الأهمية وتلك المنزلة والله تعالى أعلم.

المبحث الرابع: في صلة هذا العلم بمبحث الفصل والوصل من علوم البلاغة

الذي يطالع علم الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم يجد أن هذا العلم تندرج تحته عدة أمثلة في طول القرآن الكريم، ربما يجد بعض هذه الأمثلة في مبحث الفصل والوصل من علوم البلاغة مثل قوله تعالى{وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [يونس: ٦٥] ومثل قوله تعالى{أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف: ٥١] فهذه الأمثلة وغيرها توجد في علم الموصول لفظا المفصول معنى كما توجد في مبحث الوصل والفصل من علوم البلاغة، مما يجعل المطالع لهذين المبحثين يظن أن صلة ما تربط بين هذين الفنين، والحقيقة على غير ذلك فعلم الموصول لفظا المفصول معنى على الضد من مبحث الفصل والوصل في علوم البلاغة وإن وردت أمثلة منه هناك، وذلك أن علم الموصول لفظا المفصول معنى له اصطلاح عند علماء علوم القرآن يخالف ما هو موجود في علم المعاني لمبحث الوصل والفصل، بل يناقضه في جزء من التعريف، فعلم الموصول لفظا المفصول معنى كما سبق يمكن أن يعرف بتعريف حاصله أمران:

الأول أن يتبادر إلى الذهن معنى لا يصلح أن يكون مرادا ويندفع الإشكال بحمله على آخر.

الثاني: أن يتوهم أن صاحب الكلام واحد فيندفع هذا التوهم ببيان قائله والمعنى الجامع لهما هو قطع آخر الكلام عن أوله لحكمة [1].

[1]- الموسوعة القرآنية المتخصصة ص١٩٨

فأنت راء هنا أن هذا التعريف بشطريه ينصب على المعنى لا على اللفظ، ولا يهم بعد ذلك أن يكون اللفظ معطوفا أو غير معطوف بل حاصله تبادر معنى من كلام ليس هذا المعنى مرادا فإذا حمل هذا الكلام على معنى آخر اندفع الإشكال

أو توهم السامع أن صاحب الكلام واحد فيحدث إشكال فإذا ظهر القائل الآخر اندفع هذا الإشكال.

يحدث هذا إذا كان الكلام غير معطوف نحو قوله تعالى {وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [يونس: ٦٥] فهذا كلام مفصول حدث فيه هذا الإشكال فلما قطع أول الكلام عن آخره زال الإشكال.

كذلك يحدث لو كان الكلام معطوفا نحو قوله تعالى {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} [النمل: ٣٤] {وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل: ٣٤]

فهذا الكلام ورد فيه العطف وهو أيضا ضمن الموصول لفظا المفصول معنى فقد أحدث العطف إشكالا فإذا قطع أول الكلام عن آخره زال هذا الإشكال.

بينما الفصل والوصل في علم البلاغة فله اصطلاح آخر عندهم

قال: والمراد بالوصل عطف الجمل بعضها على بعض وبالفصل ترك التعاطف بين الجمل لجامع أو مقتضى يقتضي العطف أو يقتضي عدم العطف خوف اللبس والإشكال [1].

وأنت راء أيضا أن الوصل والفصل هنا في علوم البلاغة ينصب على اللفظ والمعنى معا فمداره على اللفظ إذا كان معطوفا أو غير معطوف.

فالموصول في البلاغة هو المعطوف في حين أن الموصول في علوم القرآن هو المنسجم متروك العطف في بعض أمثلته وفي بعضها المعطوف.

والمفصول في علم البلاغة متروك العطف بينما هو في علوم القرآن لا علاقة له باللفظ فالمفصول في علوم القرآن الذي يندرج تحت علم الموصول لفظا المفصول معنى مقصود به مفصول المعنى لا اللفظ.

من هنا يزول الإشكال بين النوعين نعم قد نجد أمثلة قرآنية تندرج تحت الموصول المفصول تتقاطع مع البلاغيين في باب الفصل والوصل وذلك من جهة كونها صادفت اصطلاحاتهم فمثلوا بها لا أن بين النوعين تشابها.

١- عقود الجمان في المعاني والبيان لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، ط مصطفى البابي الحلبي وشركاه ١٣٥٨=١٩٣٩،ص٥٨، حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للسيد أحمد الدمنهوري، ط مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ط٢،١٣٧٠= ١٩٥٠، ص ٦٨، علوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغي ، ط دار الكتب العلمية ، ط ٤، ١٤٢٢= ٢٠٠٢، ص ١٦٢،التحبير في علوم التفسير للسيوطي ص١٢٥، مواقع العلوم من مواقع النجوم للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني ت ٨٢٤هـ، دراسة وتحقيق أنور محمود المرسي خطاب ، ط مكتبة الصحابة بطنطا ٢٠٠٧، ص١٥٦

كما يوجد أمثلة أخرى في الفصل والوصل لا تمت إلى علم الموصول المفصول في علوم القرآن بصلة.

وهناك نوع ثالث من الأمثلة يوجد في علم الموصول والمفصول في علوم القرآن لا تمتد للفصل والوصل بنسب ولا سبب.

والمعنى هنا في هذه الأنواع الثلاثة هو النوع الأول من الأمثلة فهو في علوم القرآن الكريم من الموصول لفظا المفصول معنى في حين هذه الأمثلة بعينها في علم البلاغة إما أن تكون موصولة أو تكون مفصولة وبهذا يزول الإشكال.

المبحث الرابع: صلة هذا العلم بعلم الوقف والابتداء

ينتمي علم الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم إلى علم الوقف والابتداء انتماء أصيلا، فهو فرع عن هذا العلم كان مبحثا من مباحثه قبل أن يفرده جلال الدين السيوطي في إتقانه بنوع مستقل، ويمكن أن نجمل القول في هذا المبحث في النقاط الآتية:

أولا: قال العلامة السيوطي في اتقانه: وهو نوع مهم جدير أن يفرد بالتصنيف وهو أصل كبير في الوقف ولهذا جعلته عقبه وبه يحصل حل إشكالات وكشف معضلات كثيرة [١].

كما تابع ابن عقيلة المكي جلال الدين السيوطي في إفراد هذا العلم بنوع مستقل ومؤازرته في جعله هذا العلم أصلا من أصول علم الوقف والابتداء[٢].

ثانيا: جل من أشار إلى هذا العلم ذكر أنه جزء أصيل من علم الوقف والابتداء كما فعل ابن الجوزي في كتابه فنون الأفنان حيث أشار إلى هذا العلم ضمن علم الوقف والابتداء [٣] ، وفي كتابه المدهش[٤].

١- الإتقان ٥٧٦/٢

٢- الزيادة والإحسان ٤٧٨/٣

٣- فنون الأفنان ص ١٦٢

٤- المدهش لابن الجوزي ص٣٨

وكذلك فعل السيوطي في كتابه التحبير [١]، وتأويل مشكل القرآن [٢]، خلا الإمام الزركشي فقد أشار إلى هذا العلم ضمن علم المناسبة [٣].

ثالثا: جميع الأمثلة التي وردت في هذا العلم في كتاب الإتقان والزيادة والإحسان أوردها علماء الوقف والابتداء في كتبهم كما سيأتي في ثنايا البحث في أمثلة هذا النوع من أنواع علوم القرآن الكريم.

رابعا: تأتي أمثلة هذا العلم الجليل موصول اللفظ مفصول المعنى في جميع أنواع الوقف فحينا نجد من الأمثلة ما ينتمي إلى الوقف اللازم وحينا آخر نجد منها ما ينتمي إلى الوقف الحسن أو الكافي أو الجائز وهكذا مما يدل دلالة واضحة على صلة هذا العلم بعلم الوقف والابتداء.

وقد ذكر العلامة القسطلاني بعض أمثلة هذا النوع ضمن حديثه عن الوقف التام فقال: واعلم أن الوقف التام كما يوقف عليه يبتدأ بلاحقه ويكون بعد تمام الكلام والفواصل وانقضاء القصص والأخبار وقد يكون قبل انقضاء الفاصلة نحو {وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} [النمل: ٣٤] هذا انقضاء حكاية بلقيس ثم قال تعالى {وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون} [النمل: ٣٤] [٤].

وذكر السيوطي أيضا في التحبير ما يشير إلى أن أمثلة هذا النوع تقع في غير نوع من أنواع الوقف فقال: وقد يكون الوقف تاماً على تفسير وإعراب، غير تام على آخر كآية:{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّه} [آل عمران: ٧]

١- التحبير للسيوطي ص٨٣

٢- تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٤

٣- البرهان ٥٠/١

٤ - لطائف الإشارات لفنون القراءات ٣٦٧/١

وإن كان له تعلق به من جهة المعنى فقط فالوقف عليه يسمى بالكافي ويبتدأ بما بعده أيضاً أو من جهة اللفظ فقط فهو الحسن يوقف عليه ولا يجوز الابتداء بما بعده إلا أن يكون رأس آية، وقد يكون كافياً وحسناً على تأويل وغيرهما على آخر نحو: { يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْر} [البقرة: ١٠٢] كافٍ إن جعلت (ما) بعده نافية، وحسنٌ إن جعلت موصولة([1]).

فالناظر في هذه الأمثلة يجد أن متصل المبنى منفصل المعنى في القرآن الكريم لا يقع في نوع واحد من أنواع الوقوف في القرآن الكريم، وإنما هو عام يقع في كل الأنواع والله تعالى أعلم.

[1] – التحبير للسيوطي ص٨٣

المبحث السادس: عيون أمثلة هذا العلم في القرآن الكريم

سبق أن أشرت إلى جمع من العلماء تناولوا هذا العلم في كتبهم وهم ابن قتيبة الدينوري وابن الجوزي والزركشي والسيوطي وابن عقيلة المكي، وقد ذكر كل منهم عدة أمثلة لهذا النوع في القرآن الكريم ، وها أنا أسرد لك هذه الأمثلة مرتبة على سور القرآن الكريم مع أمثلة أخرى وقفت عليها في غير ما سبق من كتب.

١- من سورة البقرة قول الله تعالى{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢]

٢- وقوله تعالى{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون} [البقرة: ١٢١]

٣- وقوله تعالى{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُون} [البقرة: ١٤٦]

٤- وقوله تعالى{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ٢٧٤]{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا} [البقرة: ٢٧٥]

٥- ومن سورة آل عمران قول الله تعالى{ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [آل عمران: ٧]

٦- وقوله تعالى{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٦]

٧- ومن سورة النساء قول الله تعالى{وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} [النساء: ٧٣]

٨- وقوله تعالى{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ٨٣]

٩- وقوله تعالى{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا} [النساء: ١٠١]

١٠- ومن سورة المائدة قول الله تعالى {فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ } [المائدة: ٣١]{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ} [المائدة: ٣٢]

١١- ومن سورة الأنعام قول الله تعالى{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُون} [الأنعام: ١٠٩]

١٢- ومن سورة الأعراف قول الله تعالى{يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} [الأعراف: ١١٠]

١٣- وقوله تعالى{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُون} [الأعراف: ١٦٣]

١٤- وقوله سبحانه{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ

رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠]

١٥- ومن سورة الأنفال قول الله تعالى{ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُون} [الأنفال: ٦]

١٦- ومن سورة التوبة قوله تعالى{وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [التوبة: ١٩، ٢٠]

١٧- وقوله عز وجل{وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ } [التوبة: ٩٢]

١٨- ومن سورة يونس عليه السلام قوله تعالى {وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [يونس: ٦٥]

١٩- وقوله تعالى{ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [يونس: ٦١]

٢٠- ومن سورة يوسف عليه السلام قول الله تعالى{قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ } [يوسف: ٥١، ٥٢]

٢١- ومن سورة النحل قول الله تعالى{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون} [النحل: ٩٠]

٢٢- ومن سورة النور قول الله تعالى{وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } [النور: ٣٥، ٣٦]

٢٣- ومن سورة الفرقان قوله عز وجل{لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُول} [الفرقان: ٢٩]

٢٤- وقوله تعالى{الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلً} [الفرقان: ٣٤]

٢٥- ومن سورة النمل قول الله تعالى{قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل: ٣٤]

٢٦- ومن سورة سبأ قول الله تعالى{لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [سبأ: ٣]

٢٧- ومن سورة يس قول الله عز وجل{قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون} [يس: ٥٢]

٢٨- وقوله تعالى{فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } [يس: ٧٦]

٢٩- ومن سورة غافر قول لله تعالى{أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ} [غافر: ٦، ٧]

٣٠- ومن سورة ص قوله عز وجل{قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [ص: ٢٤]

٣١- ومن سورة الفتح قول الله تعالى{لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } [الفتح: ٩]

٣٢- ومن سورة الحشر قول الله تعالى{إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون} [الحشر: ٧، ٨]

٣٣- ومن سورة الإنسان قول الله تعالى{ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } [الإنسان: ٣١]

الفصل الثاني

أقسام علم موصول اللفظ مفصول المعنى في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : **ما تعين اتصاله وفيه خمسة عشر مطلبا**

المبحث الثاني: **ما احتمل الاتصال والانقطاع وفيه خمسة مطلب**

المبحث الثالث: **ما تعين انقطاعه وفيه ثلاثة مطالب**

تمهيد بين يدي هذا الفصل

سبق أن سردنا الآيات الكريمة التي تندرج تحت هذا العلم من علوم القرآن الكريم، هذه الآيات الكريمة لابد أن يراعى فيها عند أدائها وتفسيرها وفهمها أنها من الموصول لفظا المفصول معنى، لأن معاني هذه الآيات الكريمة تختلف عند عدم مراعاة كونها من الموصول المفصول عن معناها إذا لم يراع هذا.

وقد قسم العلماء هذه الآيات الكريمة إلى ثلاثة أقسام على حسب نقول العلماء حولها:

القسم الأول: ما تعين كونه من الموصول اللفظ المفصول المعنى، وهو أغلب هذه الآيات وقد جاء هذا فحسب في المبحث الأول.

القسم الثاني: ما اختلف العلماء في كونه يندرج تحت الموصول المفصول أو لا يندرج وهو فحوى المبحث الثاني.

القسم الثالث: ما ذكر العلماء أنه متعين الانقطاع عن بعضه بعضا فلا يحتمل الاتصال بوجه، ولم يختلف العلماء في كونه منقطعا وهو ما جاء في المبحث الثالث.

المبحث الأول: ما تعين اتصاله

المطلب الأول: موقف الراسخين في العلم من المتشابه

الآية الكريمة محل الشاهد: قال الله تعالى {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: ٧]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

الذي ينظر إلى هذا النص الكريم للوهلة الأولى يدرك أن معناه أن تأويل المتشابه يعلمه الله سبحانه وتعالى ويعلمه الراسخون في العلم، فجملة " وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ " على هذا التأويل معطوفة على لفظ الجلالة وجملة" يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ " جملة استئنافية وعلى هذا فالمتشابه في القرآن الكريم يعلمه الراسخون في العلم ويشتركون في علمه مع الله سبحانه وتعالى، وهذا إن كان مرادا فليس هو الرأي الوحيد التي تحتمله الآية الكريمة ويظهر هذا من إعمال الموصول والمفصول.

ثانيا: اختلاف العلماء في تأويل هذا النص الكريم

اختلف العلماء في تأويل هذا النص الكريم اختلافا عريضا حتى جعلوا هذه الآية نفسها من المتشابه.

فهم بين فريقين فريق ينسب علم المتشابه إلى الله تعالى وحده، وهذا يقف من الآية الكريمة على لفظ الجلالة المعظمة، وفريق آخر يجوز أن يعلم الراسخون في العلم تأويل المتشابه فلا يقفون من الآية الكريمة على لفظ الجلالة، بينما يقفون على لفظ " الْعِلْمِ " ويدور كلام العلماء في فلك هذين القولين.

قال ابن جزي الكلبي:" وما يعلم تأويله إلا الله" إخبار بانفراد الله تعالى بعلم تأويل المتشابه من القرآن الكريم، وذم لمن طلب علم ذلك من الناس " وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ " مبتدأ مقطوع مما قبله، والمعنى أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته ، وقيل إنه معطوف على ما قبله، وأن المعنى

أنهم يعلمون تأويله وكلا القولين مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والقول الأول قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعائشة وعروة رضي الله عنهم وهو أرجح [١].

وقال الإمام الزمخشري: " وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه، وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ، ومنهم من يقف على قوله" إِلَّا اللَّهُ " ويبتدئ " وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ "ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه، وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والأول هو الوجه و" يَقُولُونَ " كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العاملون بالتأويل[٢].

وإلى هذا القول مال من المفسرين السمين الحلبي قال: " وَالرَّاسِخُونَ " يجوز فيه وجهان أحدهما: أنه مبتدأ والوقف على الجلالة المعظمة وعلى هذا فالجملة من قوله" يَقُولُونَ " خبر المبتدأ.

والثاني: أنهم منسوقون على الجلالة المعظمة فيكونون داخلين في علم التأويل، وعلى هذا فيجوز في الجملة القولية وجهان أحدهما: أنه حال أي

١- التسهيل لعلوم التنزيل للعلامة أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ت٧٤١هـ، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم ، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٥= ١٩٩٥، ١٣٦/١

٢- الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط مكتبة الصفا، ط١، ١٤١٨=١٩٩٨،١/٥٢٩

يعلمون تأويله حال كونهم قائلين ذلك، والثاني أن تكون خبر مبتدأ مضمر أي هم يقولون [١].

قال قوام السنة: يسأل هل يعرف الراسخون في العلم تأويل المتشابه؟ وفي هذا جوابان: أحدهما: أن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى والوقوف على هذا عند قوله تعالى" وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ " ثم يبتدأ " وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ " فعلى هذا ليس للراسخين من المزية إلا قولهم " آمَنَّا بِهِ " وذلك نحو قيام الساعة وما بيننا وبينها من المدة وهذا قول عائشة والحسن ومالك رضي الله عنهم ومن حجتهم {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُه} [الأعراف: ٥٣]

والجواب الثاني: أن الله تعالى يعلمه والراسخون يعلمون قائلين آمنا به وهو قول ابن عباس ومجاهد والربيع رضي الله عنهم [٢].

وإلى هذه المعاني السابقة درج جمع كبير من علماء الوقف والابتداء.

قال أبو عمرو الداني:" وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ " تام على قول من زعم أن الراسخين في العلم لم يعلموا تأويله وهو قول أكثر أهل العلم من المفسرين والقراء والنحويين، وفي قراءة عبدالله تصديق لذلك و" يقول الراسخون" وعن مجاهد في قوله" وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ " قال الراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به، وقال بذلك أيضا جماعة من أهل العلم فعلى هذا يكون

١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت ٧٥٦هـ ، تحقيق د. أحمد محمد الخراط ، ط دار القلم ، دمشق،١٤٠٦، ٢٩/٣

٢- إعراب القرآن لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي الأصبهاني الملقب بقوام السنة ت٥٣٥هـ ، تقديم د. فائزة بنت محمد المؤيد، ط١٤١٥=١٩٩٥، ص٧٤

الوقف على قوله" وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ " لأن الراسخين نسق على اسم الله عز وجل، وفي الأول مرفوعون بالابتداء والخبر في قوله " يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ"[1].

وقال السجاندي: " إِلَّا اللَّهُ " وقف لازم في السنة والجماعة لأنه لو وصل فهم أن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه كما يعلمه الله بل المذهب أن شرط الإيمان بالقرآن العمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه " وَالرَّاسِخُونَ " على اسم الله وجعل " يَقُولُونَ " حالا لهم ساغ له أن يقف على " إِلَّا اللَّهُ " لكن الأصوب الأحق الوقف، لأن التوكيد بالنفي في الابتداء وتخصيص اسم الله بالاستثناء يقتضي أنه مما لا يشاركه في علمه سواه، فلا يجوز العطف على قوله " إِلَّا اللَّهُ " كما على قوله" لا إلاه إلا الله" [2].

وإلى ما سبق مال ابن الأنباري [3]، والصفاقسي [4]، والأشموني [5].

ثالثا: معنى النص الكريم بعد إعمال الموصول والمفصول

١- المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت٤٤٤هـ ، دراسة وتحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط مؤسسة الرسالة ، ط٢ ،١٤٠٧=١٩٨٧،ص١٩٧:١٩٤ باختصار شديد.

٢- الوقف والابتداء لأبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي ت٥٦٠هـ ، دراسة وتحقيق د. حسن هاشم موسى، ط دار المناهج، ط١، ١٤٢٢=٢٠٠١، ص١٥٣،١٥٢

٣- إيضاح الوقف والابتداء ٥٦٥/٢

٤- تنبيه الغافلين للصفاقسي ص١٣٣

٥- منار الهدى ص٧٠

بعد أن استعرضنا كلام المفسرين والقراء في معنى الآية الكريمة، وحكاية مذاهب العلماء في الوقف فيها يتضح جليا أن هذه الآية الكريمة مما ينتمي إلى علم الموصول لفظا المفصول معنى، والذي يظهر معناها جليا عند اعتبار ذلك، ولهذا وجدنا الإمام السيوطي رحمه الله تعالى يقول : ومن ذلك قوله تعالى{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: ٧] فإنه على تقدير الوصل يكون الراسخون يعلمون تأويله، وعلى تقدير الفصل بخلافه، وقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الشعثاء وأبي نهيك قالا: إنكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة، ويؤيد ذلك كون الآية دلت على ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ[١]، ونقل كلام السيوطي السابق ابن عقيلة في الزيادة والإحسان [٢].

فأنت راء أن الآية الكريمة تحمل معنى على تقدير وصلها، وتحمل معنى آخر يخالف الأول على تقدير قطعها.

ومن هنا كانت هذه الآية الكريمة من الآيات التي تنتمي إلى علم الموصول المفصول، ولو لم يعمل فيها علم الموصول المفصول لكان لها معنى ربما لا يراد هذا المعنى عند جمع كبير من المفسرين وعلماء الأمة، مما يظهر أن إعمال هذا العلم الجليل كان له كبير الأثر في فهم مراد الله تعالى في هذه الآية الكريمة. والله تعالى أعلم

١- الإتقان ٥٧٩/٢

٢- الزيادة والإحسان ٤٨١/٣

المطلب الثاني: في بعض صفات المنافق

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} [النساء: ٧٣]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

يتبادر إلى ذهن القارئ من أول قراءة لهذا النص المحكم الكريم أن بعض الناس من المتخلفين عن الغزو مع الصحابة الكرام إذا هم ظهروا عل عدوهم ونالوا مأربهم منه وظهر ذلك عيانا، قال هذا المبطئ " يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا " قال هذا الكلام وكأنه ليس بينه وبين هؤلاءمن الصحابة مودة تذكر.

وهذا المعنى لا يستقيم لأن الأولى أن يقال هذا القول من المبطئ عند الحالة الأولى وهي إصابة المصيبة، فيقول كأن لم تكن بينكم وبينه مودة قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا فحاله من التبري على المودة يظهر إذا أصابتهم المصيبة لا إذا أنعم الله عليهم بالفضل.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم حيث ورد في هذه الآية الكريمة جملة اعتراضية أوهمت أنها تخص الجملة القرآنية الثانية، وهي تخص الجملة القرآنية الأولى.

وإلى ما سبق درج المفسرون رحمهم الله تعالى

قال الزجاج:" وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّه" أي ظفرتم وغنمتم " لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ " و" كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ " جائز أن يكون وقع هاهنا معترضا والمعنى" وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ " يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا " ويكون التقدير "وإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا كأن لم تكن بينكم وبينهم مودة" ومعنى المودة هاهنا أي كأنه لم يعاقدكم على الإيمان أو كأنه لم يظهر لكم المودة.

وجائز أن يكون – والله أعلم – " لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ " أي كأنه لم يعاقدكم على أن يجاهد معكم فلا يكون في العربية فيه عيب ولا ينقص معنى والله أعلم [1].

وقد فسر الإمام البغوي الآية الكريمة على أن الجملة الاعتراضية وإن وقعت في الآية الثانية إلا أنها تخص الآية الأولى على أن هذه الجملة القرآنية من الموصول في اللفظ لكنه مفصول في المعني قال" ولئن أصابكم فضل من الله" فتح وغنيمة " ليقولن" هذا المنافق وفيه تقديم وتأخير

وقوله" كأن لم تكن بينكم وبينه مودة" متصل بقوله" فإن أصابتكم مصيبة" تقديره فإن أصابتكم مصيبة قال " وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ" أي معرفة " يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ" في تلك الغزاة" فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا " أي آخذ

---

[1] معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج ت٣١١هـ ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨=١٩٨٨، ٢/٧٦

نصيبا وافرا من الغنيمة وقوله "فَأَفُوزَ" نصب على جواب التمني كما تقول: وددت أن القوم فيتبعني الناس [1].

لكن الخازن رحمه الله تعالى سار على تفسير الآية بما يتبادر منها فقال رحمه الله تعالى " وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ " أي فتح وغنيمة" لَيَقُولَنَّ " يعني هذا المنافق " كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ " أي معرفة ومودة في الدين، والمعنى كأنه ليس من أهل دينكم، وذلك أن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر " يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ " في تلك الغزوة التي غنم فيها المؤمنون" فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا " أي فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة [2].

واختار الواحدي أن هذه الجملة القرآنية من الموصول المفصول فقال في تفسيره" وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ " أي فتح وغنيمة " لَيَقُولَنَّ " هذا المنافق قول نادم حاسد" يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا " لأسعد بمثل ما سعدوا به من الغنيمة وقوله" كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ " متصلة في المعنى بقوله " قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا " " كَأَنْ لَمْ تَكُنْ

١- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ت٥٦١هـ، ط دار الفكر، ١٢٩٢= ١٩٧٩ على هامش تفسير الخازن ٥٥٨/١

٢- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن ت٧٢٥هـ وبهامشه تفسير البغوي، ط دار الفكر، ١٣٩٢=١٩٧٩، ٥٥٨/١

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ "أي كأن لم يعاقدكم على الإسلام ويعاضدكم على قتال عدوكم ولم يكن بينكم وبينه مودة في الظاهر [١].

قال الجاوي: " كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ " وهذه الجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله والمراد التعجيب كأنه تعالى يقول: انظروا إلى ما يقول هذا المنافق كأنه ليس بينكم أيها المؤمنون وبين المنافق صلة في الدين ومعرفة في الصحبة ولا محالفة أصلا يا ليتني كنت غازيا معهم " فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا " فأصيب غنائم كثيرة وآخذ حظا وافرا.

وقيل: الجملة التشبيهية حال من ضمير" لَيَقُولَنَّ " أي ليقولن مشبها بمن لا معرفة بينكم وبينه، وقيل: هي داخلة في المقول أي: ليقولن المثبط للمثبطين من المنافقين وضعفة المؤمنين: كأن لم تكن بينكم وبين محمد مودة في الصحبة حتى تفوزوا بما فاز به محمد يا ليتني كنت معهم، وغرض المثبط إلقاء العداوة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

ثالثا: معني النص الكريم بعد إعمال الموصول والمفصول

من جملة ما تقدم يظهر أن معنى الآية الكريمة يدور بين قولين: الأول: أن يكون قول الله تعالى كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ " قالها القائل عند إصابة المصيبة لمن خرج في الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقال

١- الوجيز في تفسير القرآن العزيز للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ت٤٦٨هـ على هامش مراح لبيد تفسير النووي، ط دار الفكر بيروت،١٤٢٨= ٢٠٠٧، ١/١٧٦

٢- مراح لبيد تفسير النووي المسمى التفسير المنير لمعلم التنزيل للعلامة الشيخ محمد نووي الجاوي، ط دار الفكر، ١٤٢٨=٢٠٠٧، ١/١٧٦

هذا القائل كأن لم تكن بينكم وبينه مودة قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا.

الثاني: أن تكون هذه الجملة التشبيهية مقولة عند إصابة الفضل للمؤمنين فيقول المثبط كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما، والمعنى الأول أوجه وهو المقصود عند جعل الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى وقد جنح جمع من العلماء إلى هذا.

قال الزركشي في البرهان: وقد يكون اللفظ متصلا بالآخر والمعنى على خلافه كقوله تعالى" وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ" فقوله " كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ " منظوم بقوله " قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ " لأنه موضع الشماتة [1].

[1]- البرهان للزركشي ١/٥٠

المطلب الثالث: في وجوب رد الأمر إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ٨٣]

أولا: المعنى الظاهر من النص الحكيم

يظهر من الآية الكريمة أنها تتحدث عن صفات المنافقين وذلك إذا جاءهم خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في حالة الأمن أو في حالة الخوف قاموا بإذاعته قبل أن يأذن في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو ردوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، ثم من الله تعالى عليهم بقوله {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ٨٣] فالاستثناء في هذه الآية من اتباع الشيطان وهذا هو المتبادر.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذا النص الكريم من الموصول لفظا المفصول معنى وذلك لأن كلمة " إِلَّا قَلِيلًا " استثناء متصل بقوله تعالى " لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ " والحال أنه قد يكون استثناء من هذه الجملة أو من الجملة قبلها وهو الوجه وعليه جرى غير واحد من المفسرين والقراء

قال الفراء: قوله تعالى" وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ ..."

هذا نزل في سرايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثها فإذا غَلبوا أو غُلبوا بادر المنافقون إلى الاستخبار عن حال السرايا ثم أفشوه قبل أن يفشيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يحدث به، فقال " أَذَاعُوا بِهِ "يقول أفشوه، ولو لم يفعلوا حتى يكون رسول اللهﷺ الذي كان يخبر بهم لكان خيرا لهم، أو ردوه إلى أمراء السرايا فذلك قوله " وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ " وقوله" لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا "

قال المفسرون معناه لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا، ويقال أذاعوا به إلا قليلا وهو أجود الوجهين لأن علم السرايا إذا ظهر علمه المستنبط وغيره، والإذاعة قد تكون من بعضهم دون بعض فلذلك استحسن الاستثناء من الإذاعة[1].

وتابعه الأخفش فقال" لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا " على" وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ "[2].

ولقد أحسن ابن الجوزي رحمه الله تعالى عندما نقل الأقوال في الآية الكريمة عازيا كل قول إلى القائل به.

١- معاني القرآن لأبي زكريا يحيي بن زياد الفراء ت٢٠٧هـ، تعليق: صلاح عبد العزيز السيد، محمد مصطفى الطيب، د. عبد العزيز محمد فاخر ، ط دار السلام القاهرة، ط ١، ١٤٣٤=٢٠١٣، ١/ ٢٩٣

٢- معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، ط عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥=١٩٨٥، ١/٤٥١

قال" قوله تعالى" لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا " في معنى الاستثناء أقوال: أحدها: أنه راجع إلى الإذاعة وتقديره أذاعوا به إلا قليلا، وهذا قول ابن عباس وابن زيد واختاره الفراء وابن جرير.

الثاني: أنه راجع إلى المستنبطين تقديره" لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا" وهذا قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة.

فعلى هذين القولين في الآية تقديم وتأخير

والثالث: أنه راجع إلى اتباع الشيطان فتقديره " لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا " وهذا قول الضحاك واختاره الزجاج.

وقال بعض العلماء المعنى: لولا فضل الله بإرسال النبي إليكم لضللتم إلا قليلا منكم، كانوا يستدركون بعقولهم معرفة الله ويعرفون ضلال من يعبد غيره كقس بن ساعدة [1].

ثالثا: معنى النص الكريم بعد إعمال الموصول المفصول

من سرد كلام المفسرين قبل يتبين أن هذه الآية الكريمة تحمل عدة معان بخلاف المتبادر إلى الذهن من ظاهر النص، وذلك لكون هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى.

لأن لفظة" إِلَّا قَلِيلًا " موصولة بقوله تعالى" لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ " وكأن الاستثناء من هذه الجملة، في حين أن هذه الجملة القرآنية قد تكون استثناء

---

[1]- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن على بن محمد الجوزي ت٥٩٧هـ، ط دار ابن حزم بيروت ، ط ١، ١٤٢٣=٢٠٠٢، ص٣٠٦

من إذاعة الأخبار أو من العلم والاستنباط وعلى هذا فإن علم الموصول لفظا المفصول معنى له كبير الأثر في توليد المعاني القرآنية من النص الحكيم.

قال الزركشي: وقوله" وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ " إلى قوله " إِلَّا قَلِيلًا "فقوله" إِلَّا قَلِيلًا " متصل بقوله "لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ " ومثل بقوله" وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ " على تأويل " ولولا فضل الله عليكم ورحمته إلا قليلا ممن لم يدخله في رحمته واتبعوا الشيطان لاتبعتم الشيطان [1].

وقال ابن قتيبة: ومن المقدم والمؤخر قوله تعالى" وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ ... إِلَّا قَلِيلًا" أراد لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان [2].

١- البرهان ١/٥٠

٢- تأويل مشكل القرآن ص ٢٠٩

المطلب الرابع: قصر أحكام الصلاة في السفر

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا} [النساء: ١٠١]

أولا: المعنى الظاهر من النص الحكيم

يتبادر إلى الذهن لمجرد قراءة الآية الكريمة أن قصر الصلاة مترتب على خوف الفتنة من الذين كفروا، فإذا أمن المسلمون الفتنة من الذين كفروا فلا قصر إذن، ومعلوم أن هذا غير مراد إلا أن الذي دعا إلى استبعاد هذا المعنى أن هذه الآية الكريمة متصلة المبنى منفصلة المعنى وهذا ما سيتضح جليا عن قليل حتى ذهب بعضهم إلى أن المعنى المتبادر إلى الذهن هنا هو قول الخوارج.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذا النص الكريم من متصل المبنى منفصل المعنى في القرآن الكريم من حيث تبادر معنى إلى الذهن لا يصلح أن يكون هذا المعنى هو المراد، وهو كون قصر الصلاة متوقفا على حال الخوف وإلى هذا أشار المفسرون في كتبهم.

قال الإمام النسفي: إن خفتم أن يقصدكم الكفار بقتل أو جرح أو أخذ ، والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص، وعند الجمهور ليس بشرط لما روي عن يعلى عن أبيه أنه قال لعمر : ما بالنا نقصر وقد أمنا؟

فقال: عجبت مما تعجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته[1].

وفيه دليل على أنه لا يجوز الإتمام في السفر لأن التصدق بما لا يحتمل التمليك إسقاط محض لا يحتمل الرد، وإن كان المتصدق لا تلزم طاعته كولي القصاص إذا عفى عمن تلزم طاعته، ولأن حالهم عند نزول الآية كذلك، فنزلت على وفق الحال، وهو كقوله تعالى {إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} [النور: ٣٣] دليله قراءة عبد الله " عن الصلاة أن يفتنكم" أي لئلا يفتنكم على أن المراد بالآية قصر الأحوال، وهو أن يومئ على الدابة من الخوف، أو يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فأنت راء هنا كيف بين النسفي أن هذا المتبادر هو رأي الخوارج الذين هم ظاهرية الأمة [2].

١- الحديث أخرجه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري ت ٢٦١هـ في صحيحه الموسوم بالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اله صلى الله عليه وسلم، ط دار إحياء التراث العربي، بدون، باب صلاة المسافرين وقصرها ٤٧٨/١ ح ٦٨٦، والإمام ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٣هـ، في سننه، ط دار إحياء الكتب العربية، باب قصر الصلاة في السفر ،٣٣٩/١ ح١٠٦٥ والإمام الترمذي أبو عيسى محمد بن سورة بن عيسى الترمذي ت ٢٧٩هـ ، في سننه، ط مصطفى الحلبي ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م ، ٢٤٢/٥ ح ٣٠٣٤،والإمام أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ، ط دار الرسالة، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٩م، ٤٠٠/٢ ح ١١٩٩، والإمام النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت ٣٠٣هـ، ط مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ =١٩٨٦م، ١١٦/٣ح١٤٣٣.

٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للعلامة أبي البركات أحمد بن محمد بن محمود النسفي ت٧١٠هـ ط الهيئة العامة المصرية لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر،٢٠١٠، ٣٥٣/١

وقبله قال البيضاوي: " إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا " شريطة اعتبار الغالب في ذلك الوقت، ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} [البقرة: ٢٢٩] وقد تظاهرت السنن على جوازه أيضا في حالة الأمن، وقرئ " من الصلاة أن يفتنكم" بغير إن خفتم بمعنى كراهة أن يفتنكم وهو القتال والتوخي بما يكره [١].

قال السيوطي رحمه الله تعالى: ومن ذلك قوله تعالى" وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا " فإن ظاهر الآية يقتضي أن القصر مشروط بالخوف وأن لا قصر مع الأمن، وقد قال به لظاهر الآية جماعة منهم عائشة رضي الله عنها لكن بين سبب النزول أن هذا من الموصول المفصول، فأخرج ابن جرير الطبري من حديث علي قال: سأل قوم من بني النجار رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي: فأنزل الله تعالى قال الله تعالى{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ ... مِنَ الصَّلَاةِ } [النساء: ١٠١]، ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي ﷺ فصلى الظهر فقال المشركون: لقد أمكننا محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٦٩١هـ، تقديم محمود عبد القادر الأرناؤوط ، ط دار صادر بيروت، ط٢، ٢٠٠٤، ٢٣٧/١

في إثرها فأنزل الله تعالى بين الصلاتين " إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا " إلى قوله" عَذَابًا مُهِينًا" فنزلت صلاة الخوف[١].

فتبين بهذا الحديث أن قوله تعالى" إِنْ خِفْتُمْ " شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف لا في صلاة القصر.

قال ابن جرير: هذا تأويل في الآية حسن لو لم تكن الآية " إذا"[٢].

قال ابن الفرس: ويصح مع "إذا" على جعل الواو زائدة قلت: ويكون من اعتراض الشرط على الشرط وأحسن منه أن تجعل "إذا" زائدة بناء على قول من يجيز زيادتها [٣].

لكن نقل ابن عقيلة المكي كلام السيوطي السابق ثم عارضه بقوله: أقول: ما ذكر من هذا لمعنى لا يصح لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقد ورد في الصحيح أن الصحابة لما أشكلت عليهم هذه الآية وسألوا النبي ﷺ بأن الله لم يبح القصر في السفر إلا مع الخوف فكيف نقصر بلا

١- الحديث أخرجه الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ت٣١٠هـ ، في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م، ١٢٦/٩ح١٠٣١٤، والإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط دار الفكر العربي بيروت، وعزاه لابن جرير الطبري، وأورده الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ، ط دار طيبة ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م وعزاه لابن جرير ثم قال: هذا سياق غريب جدا.

٢ – جامع البيان للطبري ١٢٧/٩

٣- الإتقان ٢/ ٥٧٩: ٥٨١

خوف في السفر؟ أجابهم النبيﷺ بأن القصر في السفر صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته.

يعني أن القصر رخصة الله للمؤمنين على لسان نبيه ﷺ ولو كان الحال كما سبق لأجابهم النبي ﷺ بما ذكروا والله أعلم [١].

ولقد حمل ابن العربي في أحكام القرآن على القائل بهذا الكلام الذي ذكره السيوطي حملة قاسية وجهل من ذكر ذلك وبين أن هذا النص الكريم يخرج من هذا الباب بكون القصر في السفر مع الأمن رخصة الله تعالى للمؤمنين لكن الشرط لابد أن يرتبط بالمشروط فقال: " إِنْ خِفْتُمْ " فشرط الله تعالى الخوف في القصر، وقد اختلف العلماء في الشرط المتصل بالفعل هل يقتضي ارتباط الفعل به فيثبت بثبوته ويسقط بسقوطه فذهب بعض الأصوليين إلى أنه لا يرتبط به وهم نفاة دليل الخطاب ولا علم عندهم باللغة والكتاب [٢].

فأنت راء هنا أن جمعا من المفسرين ارتأوا أن هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى، وعلى رأسهم ابن جرير الطبري والذي آزره ابن الفرس في كلامه، ومنهم البيضاوي والنسفي والسيوطي، وبعضهم قال بأنها لا تنتمي إلى هذا العلم من علوم القرآن ومنهم ابن العربي وابن عقيلة المكي.

١- الزيادة والإحسان ٤٨٣/٣

٢- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله العربي المالكي ت٥٤٣هـ ، تحقيق عبد الرازق المهدي، ط دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٤٣٠= ٢٠٠٩، ١/ ٥٠٤

ثالثا: أثر علم الموصول المفصول في بيان معنى النص الكريم

سبق أن ذكر قبل في هذا الموضع أن علم الموصول المفصول تحل به مشكلات عويصة وتفك به معضلات، ونزيد هنا فنقول: إن علم الموصول المفصول له أثر في الحكم الشرعي المستخرج من النص الكريم، وهذا ما تحقق هنا حيث إن هذه الآية الكريمة لو لم يعمل فيها الموصول لفظا المفصول معنى لكان الحكم الخارج منها هو عدم جواز صلاة القصر في السفر إلا في حالة الخوف بدليل قوله تعالى" إن خفتم" أما على كون هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى فإنه يستخرج منها حكما يخالف الأول وهو أن قصر الصلاة في السفر غير مترتب على حال الخوف، ولكنه مطلق سواء في حالة الأمن وفي حالة الخوف فانظر كيف أثر علم الموصول المفصول على النص الحكيم.

المطلب الخامس: في أن علم الغيب إلى الله تعالى

الآية الكريمة موطن الشاهد قال الله تعالى {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُون} [الأنعام: ١٠٩]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

يتبادر إلى ذهن القارئ لهذه الآية الكريمة أن الكافرين أقسموا أيمانا مغلظة عندما جاءهم الرسولﷺ بأنهم إذا جاءهم آية من الله تعالى ليؤمنن بها، فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ أن يقول لهم إنما الآيات عند الله وما يشعركم أيها المؤمنون إذا جاءت هذه الآيات التي طلبها الكفار لا يؤمنون، وكأن الكلام كله على لسان النبي ﷺ والخطاب فيه للمؤمنين وحدهم.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى كما ذكر العلماء في تفاسيرهم قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: وقوله سبحانه" وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُون " يريد وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون فزاد لا لأنهم لا يؤمنون إذا جاءت ومن قرأها بكسر إن فإنه يجعل الكلام تاما عند قوله " وَمَا يُشْعِرُكُمْ " ثم يبتدئ فيقول" إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُون " [١].

وقد أفصح الفراء القول فقال: وقرأ بعضهم " إنها" مكسور الألف" إِذَا جَاءَتْ " مستأنفة ويجعل قوله " وَمَا يُشْعِرُكُمْ " كلاما مكتفيا وهي في قراءة عبد الله " وما يشعركم إذا جاءت أنهم لا يؤمنون"

١- تأويل مشكل القرآن ص٢٤٤

و"لا" في هذا الموضوع صلة كقوله {وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [الأنبياء: ٩٥] المعنى حرام عليهم أن يرجعوا ومثله {مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ} [الأعراف: ١٢] معناه أن تسجد [١].

وصرح ابن كثير رحمه الله تعالى أن هذه الآية الكريمة قد يكون المخاطب بقوله فيها " وَمَا يُشْعِرُكُمْ " هم المشركون ثم استأنف الخبر عنهم بقوله تعالى" إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُون " فقال رحمه الله وقوله تعالى" زما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون" قيل المخاطب ب" ما يشعركم" المشركون وإليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم: وما يدريكم بصدقكم في هذه الأيمان التي تقسمون بها، وعلى هذا فالقراءة " إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُون" بكسر أنها على استئناف الخبر عنهم بنفي الأيمان عند مجئ الآيات التي طلبوها[٢].

لكن النسفي قال بأن الخطاب للمؤمنين فيها وقطع الجملة الأخيرة على الاستئناف أيضا فقوله" وَمَا يُشْعِرُكُمْ " وما يدريكم " أنها" أن هذه الآية المقترحة " إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُون " بها، يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تعلمون ذلك، وكان المؤمنون يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها، فقال الله تعالى: وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى إنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون

١- معاني القراء للفراء ٣٥٦/١

٢- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ، تحقيق محمود بن الجميل، وليد محمد سلامة، خالد محمد عثمان، ط مكتبة الصفا، ط١، ١٤٢٥= ٢٠٠٤، ١٨٩/٣

"إنها" بالكسر على أن الكلام تم قبله أي وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبر بعلمه فيهم فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون ألبتة[1].

ثالثا: أثر علم الموصول المفصول في بيان معنى الآية الكريمة

سبق بيان أن الخطاب في هذه الآية الكريمة للمؤمنين وهو ما يتبادر إلى الأذهان قبل العلم بأن هذه الآية مما اتصل لفظه وانفصل معناه، أما بعد العلم بهذا ففي هذه الآية الكريمة عدة توجيهات

الأول: أن الخطاب في هذه الآية الكريمة بقوله" وَمَا يُشْعِرُكُمْ " للمؤمنين وفيه وجهان:

الوجه الأول: أن معناه وما يشعركم بصدق هؤلاء في أيمانهم أن هذه الآيات ستكون دافعا لهم إلى الإيمان.

الوجه الثاني: أن معناه وما يشعركم أيها المؤمنون – بهذا الإطلاق – بما سبق إليه علم الله تعالى أو بما يكون منهم ثم استأنف سبحانه فقال لعلمه فيهم "إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُون "

الثاني: أن الخطاب في قوله تعالى " وَمَا يُشْعِرُكُمْ " للكفار وعليه فالمعنى: وما يشعركم بصدقكم في الأيمان التي تحلفونها ثم استأنف سبحانه الخبر عنهم فقال "إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُون " والله تعالى أعلم

ولله در القشيري رحمه الله تعالى عندما شرح هذه الآية الكريمة بإيجاز فقال {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ ...} [الأنعام: ١٠٩] ، وعدوا من أنفسهم الإيمان لو

---

[1]- تفسير النسفي ٥٠/١ بتصرف

شاهدوا البرهان ولم يعلموا أنهم تحت قهر الحكم وما يغني وضوح الأدلة لمن لا تساعده سوابق الرحمة ولواحظ الحفظ بموجبات القسمة[1].

المطلب السادس: في طغيان فرعون

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى" يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون"

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

سبق من تعريف علم المتصل لفظا المنفصل معنى أنه توهم أن صاحب الكلام واحد فيندفع هذا التوهم ببيان قائله وهذا الذي حدث في هذه الآية فربما يتبادر إلى ذهن القارئ أن الكلام كله للملأ قاله بعضهم لبعض قاصدين موسى بن عمران عليه السلام من أنه أتى ليخرجهم من أرضهم، فقال بعضهم لبعض فماذا تأمرون لكن الحال على غير هذا وسيتضح ذلك عند دراسة النص الكريم.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذه الآية الكريمة من المتصل لفظا المنفصل معنى حيث يتوهم السامع أن هذه الآية الكريمة بجملتها من كلام الملأ تبعا لقولهم " {إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ} [الأعراف: ١٠٩] قالوا هذا لفرعون اللعين، لكن الحال أن هذه الجملة القرآنية من كلام الملأ وكلام فرعون سويا حيث قال الملأ" إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ

---

[1]- لطائف الإشارات لزين الإسلام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري ت٤٦٥ هـ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق د. إبراهيم البسيوني، ط٤، ٢٠٠٧، ٤٩٤/١

عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ " وعندها انتهي كلامهم فقال فرعون " فَمَاذَا تَأْمُرُونَ " وعل هذا سار جمع من أهل التفسير لم يخالف في ذلك إلا القليل.

فممن قال بهذا القول ابن قتيبة الدينوري قال: وقوله حكاية عن ملأ فرعون " يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ " هذا قول الملأ ثم قال فرعون" فَمَاذَا تَأْمُرُونَ "[1].

قال الواحدي: قال أشراف القوم الزعماء من قوم فرعون لما شاهدوا ذلك إن موسى لساحر كبير عليم خبير بأنواع السحر وفنونه يريد أن يخرجكم من أرض مصر وقال فرعون لهم فماذا تشيرون به علي[2].

وقال النسفي: " يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ " يعني مصر" فَمَاذَا تَأْمُرُونَ " تشيرون من أمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي وهو من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له " إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ "[3].

وأصرح مما سبق ما ذكره ابن الجوزي في كتابه المدهش فقال: وقد تأتي بكلمة إلى جوار كلمة كأنها معها وهي غير متصلة بها في القرآن " يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ " هذا قول الملأ فقال فرعون" فَمَاذَا تَأْمُرُونَ "[4].

١- تأويل مشكل القرآن ص٢٩٤

٢الوجيز للواحدي ١٦٥/١

٣- تفسير النسفي ٥٦٥/١

٤-المدهش لابن الجوزي ص٣٨

ونقله السيوطي عنه[١] ونقله عن السيوطي ابن عقيلة المكي[٢] وذكر أنه لم يعثر عليه في كتب ابن الجوزي ولعله قال ذلك لأنه لم ير كتاب المدهش لابن الجوزي .وجوز هذا التأويل في هذه الآية الفراء في معاني القرآن وبين أنه على الحكاية التي لم تحك فقال: قوله تعالى" يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ "من الملأ" فَمَاذَا تَأْمُرُونَ " من كلام فرعون جاز ذلك على كلامهم كأنه لم يحك وهو حكاية، فلو صرحت بالحكاية لقلت يريد أن يخرجكم من أرضكم فقال فماذا تأمرون، ويحتمل القياس أن نقول على هذا المذهب قلت لجاريتك قومي فإني قائمة تريد فقالت إني قائمة وقلما أتى في شعر أو نحوه[٣].

لكن خالف في ذلك البيضاوي فجعل جملة الآية الكريمة من كلام الملأ فقال" " قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ "قيل قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور في أمره فحكى عنه في سورة الشعراء وعنهم هاهنا" يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ " تشيرون في أن نفعل[٤].

وهاهنا يرد اعتراض لأن الآية هنا أوردت هذا الكلام من كلام الملأ وفي سورة الشعراء وأوردته من كلام فرعون في قوله تعالى" {قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } [الشعراء: ٣٤] وفي جواب هذا قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري" قوله تعالى" قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ " إن

١- الإتقان ٥٨١/٢

٢- الزيادة والإحسان ٤٨٣/٣

٣- معاني القراء للفراء ٣٩٠/١

٤- تفسير البيضاوي ٣٥٤/١

قلت كيف نسب القول هنا للملأ ونسبه في الشعراء لفرعون في قوله " قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ "

قال : قاله فرعون وهم فحكى قوله ثَمَّ وقولهم وحدهم أو معه هنا[1].

وعلى هذا قال الزجاج وقوله تعالى {قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ} [الشعراء: ٣٤] وفي هذا الموضوع {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْن} [الأعراف: ١٠٩] الملأ هم الوجوه وذوو الرأي وإنما سموا ملأ أن ملئوا بما يحتاج إليه منهم وقرئت " لسحار عليم" {يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُم} [الأعراف: ١١٠] قال فرعون مجيبا لهم {فَمَاذَا تَأْمُرُون} [الأعراف: ١١٠] ويجوز أن يكون "فَمَاذَا تَأْمُرُون" من قول الملأ كأنهم خاطبوا فرعون ومن يخصه وجائز أن يكون الخطاب لفرعون وحده لأن يقال للرئيس المطاع ما ترون في هذا أي ما ترى أنت وجندك[2].

ثالثا: أثر علم الموصول المفصول في بيان معنى الآية الكريمة

مما سبق عن قليل يتبين أن هذه الآية الكريمة قد تشعب معناها عندما دخلها علم الموصول المفصول حيث إنها صارت تحتمل معنيين الأول: أن

١- كشف الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن لأبي يحيي زكريا الأنصاري شيخ الإسلام، تحقيق محمد علي الصابوني، ط دار القرآن الكريم بيروت، ط١ ، ١٤٠٣=١٠٨٣، ص ٢٠٣، وانظر درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ت٤٣١هـ ، عناية الشيخ خليل مأمون شيحا، ط دار المعرفة بيروت، ط٢، ١٤٣٣= ٢٠١٢، ص١٢٤

٢- معاني القرآن وإعرابه للزجاج٢/٣٦٤

تكون من كلام الملأ بعضهم لبعض، وقد حكى القرآن كلامهم فقال {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } [الأعراف: ١٠٩، ١١٠]

المعنى الثاني: أن تكون هذه الآية الكريمة من كلام الملأ، والبعض الآخر من كلام فرعون فهم قالوا " يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ " فقال فرعون" فَمَاذَا تَأْمُرُونَ " فعلم الموصول المفصول هنا قد ولَّد بعض المعاني في هذه الآية الكريمة لم تكن لو لم تنتمي الآية إلى هذا العلم. والله تعالى أعلم.

المطلب السابع: في عدوان اليهود في السبت

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُون} [الأعراف: ١٦٣]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

يتبادر إلى ذهن القارئ لهذه الآية الكريمة أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يسأل عن القرية التي كانت مجاورة للبحر حيث كانوا يعتدون في السبت وقد أمرهم الله تعالى أن يقفوا عن الصيد فكانوا إذا أسبتوا أتتهم حيتانهم وإذا لم يسبتوا لا تأتيهم.

وهذا نهاية سؤال الرسول ﷺ لهم ثم قال تعالى " {كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُون} [الأعراف: ١٦٣] "

وفي الصفحات القادمة دراسة لهذا النص الكريم لنرى ما إذا كان هذا هو المعنى المراد أو لا.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذا النص الحكيم من الموصول لفظا المفصول معنى حيث يتبادر من معناه لأول وهلة أن الكلام متصل وأن السؤال المأمور به النبي الكريم ﷺ من قوله تعالى" إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ " إلى قوله تعالى " وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ " وليس الحال كذلك لأن هذه الجملة الأخيرة ليست من السؤال لأن الكلام قد انقضى عند قوله تعالى " شُرَّعًا " وقد ذكر هذا المعنى الكثير من العلماء منهم السجاوندي في الوقف والابتداء حيث قال : الوقف على قوله تعالى" حَاضِرَةَ الْبَحْرِ " لازم لأنه لو وصل صار ظرفا لقوله" وَاسْأَلْهُمْ " وهذا محال" لَا يَسْبِتُونَ " موقف ممنوع لأن العامل في الظرف " لَا تَأْتِيهِمْ " أي لا تأتيهم الحيتان يوم لا يسبتون " لَا تَأْتِيهِمْ " جائز لاحتمال تعلق " كَذَلِكَ " به أي لا يسبتون لا تأتيهم إتيانا كإتيانها يوم السبت والأصح أن " كَذَلِكَ " صفة مصدر بعده محذوف أي نبلوهم بلاء كذلك فالوقف على " كَذَلِكَ " أيضا جائز[1].

قال ابن عقيلة المكي: أقول: ومن ذلك أي الموصول لفظا المفصول معنى {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ... لَا تَأْتِيهِمْ } [الأعراف: ١٦٣]

١- الوقف والابتداء لأبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي ت٥٦٠هـ، دراسة وتحقيق د. محسن هاشم، ط دار المناهج، ط١، ١٤٢٢= ٢٠٠١، ص٢١١

فمنتهى الكلام عند قوله عز وجل " شُرَّعًا " وابتدأ" وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ "[1].

ثالثا: أثر علم الموصول لفظا المفصول معنى في معنى الآية الكريمة

من المعلوم أن علم الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم هو اتصال لفظ ظاهرا والمعنى على خلافه، والذي يجيل النظر في هذه الآية الكريمة لو لم يعمل فيها العلم لتبادر إلى ذهنه أن الكلام متصل، وأن الله تعالى أمر نبيه محمدا أن يسأل اليهود عن القرية التي كانت حاضرة البحر، قائلا لهم ما بال هذه القرية تأتيها حيتانها يوم سبتها شرعا ويوم لا تسبت لا تأتيها، والمعنى القرآني على خلاف ذلك لأن الله تعالى أمر نبيه وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسألهم عن حال القرية على العموم ،دون أن يبين لهم ما يفعلون، وقد أبان الله تعالى له عن الجواب في الآية الكريمة. وقد تبين هذا كله عندما تبين أن الآية الكريمة من متصل المبنى منفصل المعنى في القرآن الكريم.

قال الجاوي في بيان معنى الآية الكريمة: أي واسأل يا أشرف الخلق، اليهود المعاصرين لك، سؤال تقريع عن خبر أهل المدينة التي كانت قريبة من بحر القلزم، وهي أيلة قرية بين مدين والطور. وقيل: هي قرية يقال لها: مقنا بين مدين وعينونا، وسبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا: لم يصدر من بني إسرائيل كفر ولا مخالفة للرب فأمره الله تعالى أن يسألهم عن حال أهل

[1]- الزيادة والإحسان ٣/٤٨٤

هذه القرية في زمن داود عليه السلام تقريعا، فإنهم يعتقدون أنه لا يعلمه أحد غيرهم، فذكر الله لهم قصة أهل تلك المدينة فبهتوا وظهر كذبهم[1].

المطلب الثامن: نفي الشرك عن آدم عليه السلام وزوجه

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

يتبادر إلى ذهن القارئ لهذا النص الكريم إظهار قدرة الله في خلق الإنسان ذكرا وأنثى من نفس واحدة، ثم جعل منها زوجها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فلم تجد ما تجد الحوامل غالبا فلما قاربت الولادة نذرت وزوجها لئن آتاهما الله صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله تعالى عما يشركون.

فكأن آدم وحواء لما أن أكرمهما الله تعالى بالولد وقع منهما الشرك، ومعلوم أن هذا الكلام الظاهر غير مقصود وسيتضح ذلك جليا عند دراسة النص الكريم.

[1] - مراح لبيد ٣٣٣/١

ثانيا: دراسة النص الحكيم

هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم بل هي أبرز المواضع في هذا العلم وذلك لما أوحاه السياق في هذه الآية من نسبة الشرك إلى آدم وحواء عليهما السلام، ومعلوم أن هذا ينافي عصمة الأنبياء فلا يليق بنبي كريم هو آدم عليه السلام أن يقع منه الشرك، لذلك كله انقسم المفسرون تجاه هذه الآية إلى قسمين رئيسين: قسم ينفي أن يكون آدم وحواء عليهما السلام قد قصدا بهذه الآية الكريمة أصلا، وقسم ثان يرى أنه لا مفر من دلالة السياق فيضطر إلى تأويل الشرك بأنه شرك دون شرك العبادة وفي السطور الآتية نقل لبعض كلام هذين القسمين والله المستعان.

قال الإمام البيضاوي: " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ..." الآية

" مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ " هو آدم " وَجَعَلَ مِنْهَا " من جسدها من ضلع من أضلاعها أو من جنبها كقوله{جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} [النحل: ٧٢]" زَوْجَهَا " حواء " لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا " ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه أو من جنسه وإنما ذكر الضمير ذهاب إلى المعنى ليناسب " فَلَمَّا تَغَشَّاهَا " أي جامعها " حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا " خف عليها ولم تلق منه ما تلق الحوامل غالبا من الأذى ، أو محمولا خفيفا وهي النطفة " فَمَرَّتْ بِهِ " فاستمرت به أي قامت وقعدت وقرئ" فمرت به" بالتخفيف و"فاستمرت به" و" فَمَرَّتْ " من المور وهو المجئ والذهاب أو من المرية أي فظنت الحمل وارتابت منه " فَلَمَّا أَثْقَلَتْ " صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول أي أثقلها حملها " دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا " ولدا سويا قد صلح بدنه " لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ " لك على هذه النعمة المجددة " فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا " أي جعل أولادهما له شركاء

فيما آتى أولادهما فسموه عبد العزي وعبد مناف على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل عليه قوله " فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ "[1].

قال أبو مسلم الأصفهاني: واختلفوا في الكناية إلى من ترجع في قوله " جَعَلَا " قال الكناية في جميع ذلك غير آدم وحواء وجعل الهاء في " تَغَشَّاهَا " والكناية في " دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا " " آتَاهُمَا صَالِحًا " راجعين إلى من أشرك ولم يتعلق بآدم وحواء إلا قوله " خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ " والإشارة بذلك إلى جميع الخلق وكذلك " وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا " ثم حض بها بعضهم كما قال{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ... بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ } [يونس: ٢٢] فخاطب الجميع ثم خص راكب البحر، فكذلك أخبر الله تعالى عن جملة أمر البشر بأنهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها وهما آدم وحواء، ثم عاد الذكر إلى الذي سأل الله تعالى ما سأل فأعطاه إياه ادعى له الشركاء في عطيته [2].

وقال أبو بكر الأصم في مرجع الضمير في قوله تعالى " فلما آتاهما صالحا...يشركون" قال: يرجع إلى النفس وزوجها من ولد آدم لا إلى آدم وحواء عن الحسن وقتادة ويكون المعنى في قوله " خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ " خلق كل واحد منكم من نفس واحدة" خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها أي من جنبها كما قال سبحانه {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} [الروم: ٢١]

١- تفسير البيضاوي ٣٧١/١

٢- تفسير أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني ت٣٢٢هـ ، دراسة وتحقيق د. صقر محمد بنها، تقديم د. رضوان السيد ، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص ١٣١

قال الصاوي في حاشيته: وجملة " فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " جملة مسببة عطف على قوله " خَلَقَكُمْ " أي ليس لها تعلق بقضية آدم وحواء أصلا ويؤيد ذلك الجمع بعد التثنية ولو كان راجعا لها لثني الضمير وقال "يشركان" وفي قوله " يُشْرِكُونَ " التفات من الغيبة[1].

ولقد أحسن ابن كثير رحمه الله تعالى عندما أبان عن المذهب المعتبر في ذلك مدللا عليه بقوله: وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله فيه ذا والله أعلم وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله " فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " ...ثم قال فذكر آدم وحواء أولا كالتوطئة لما بعدها من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله " {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ } [الملك: ٥]الآية ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ولهذا نظائر في القرآن الكريم[2].

وقد جنح بعض العلماء الآخرين إلى عدم الهرب من السياق ولكن مالوا إلى تأويل لفظ الشرك توافقا مع عصمة الأنبياء وعلى رأس هؤلاء ابن قتيبة حيث قال: قال المفسرون في قوله تعالى "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... الشَّاكِرِينَ" إن حواء لما أثقلت أتاها إبليس في صورة رجل فقال لها: ما هذا الذي في بطنك؟ وذلك أوان حملها فقالت:

١- حاشية أحمد بن محمد الصاوي المصري ت ١٢٤١هـ على تفسير الجلالين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ط مكتبة القدسي ، ط٢، ٢٠٠٦، ١٩٢/٢

٢- تفسير ابن كثير ٣١٠/٣

ما أدري فقال لها: أرأيت إن دعوت ربي فولدته إنسانا أتسمينه بي؟ فقالت: نعم وقالت هي وآدم" لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ" أي لئن خلقته بشرا ولم يخلقه بهيمة فلما ولدته أتاها إبليس ليسألها الوفاء فقالت: ما اسمك قال: الحارث – تسمى بغير اسمه ولو تسمى باسمه لعرفته – فسمته عبد الحارث فعاش أياما ثم مات فقال الله تعالى" فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا " وإنما جعلا له الشرك بالتسمية لا بالنية والعقد وانتهى الكلام في قصة آدم وحواء ثم ذكر من أشرك به بالعقد والنية من ذريتهما فقال " فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " ولو كان أراد آدم وحواء لقال" عما يشركان" فهذا يدلك على العموم[1].

وقال النسفي " فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا " أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي" جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ " أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك" " فيما آتاهما" أي آتى أولادهما دليله " فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " حيث جعل الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبدالله وعبد الرحمن وعبد الرحيم.

أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي، أي هو الذي خلقكم من نفس واحدة قصي وجعل منها جنسها وزوجها عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاهما طلبا من الولد الصالح السوي " جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا" حيث سميا أولادهما الأربعة عبد مناف

---

[1]– تأويل مشكل القرآن ص٢٥٨

وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في " يُشْرِكُونَ " لهما ولأعقابهما والذين اقتدوا بهما في الشرك[١].

وقد نحا السيوطي والمحلي بمعنى الشرك إلى شرك التسمية أيضا وجعلا المقصود من الشرك هم أهل مكة فقال" جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا " تسمية عبد الحارث ولا ينبغي أن يكون عبدا إلا لله وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم " فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " أي أهل مكة به من الأصنام[٢].

وسمى الأصفهاني الشرك الوارد في هذه الآية الكريمة بالشرك الصغير فقال: الثاني الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله" جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ "[٣].

فأنت راء هنا كيف انقسم المفسرون تجاه هذه الآية الكريمة بين منكر لأن يكون المراد منها آدم وحواء عليهما السلام وبين مجيز لذلك مؤول لمعنى الشرك الوارد في الآية الكريمة.

١- تفسير النسفي ٥٩٨/١

٢- تفسير الجلالين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ت٨٦٤هـ وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ ، ط الشعب بدون ص١٦٠

٣- مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ت٤٢٥هـ، ط دار القلم ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط٥، ١٤٣٣= ٢٠١١، ص٤٥٢

ثالثا: أثر علم الموصول لفظا المفصول معنى في معنى الآية الكريمة

في الحقيقة أن علم الموصول المفصول كان له كبير الأثر في معرفة معنى الآية الكريمة وحل المعضلة التي يحدث لو فسرت الآية الكريمة بمعزل عن هذا العلم.

وقد جاء هذا جليا واضحا في كلام العلامة السيوطي عند حديثه عن هذا العلم من إتقانه حيث قال: من ذلك قوله تعالى" هو هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا " إلى قوله " جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ... يُشْرِكُونَ " فإن الآية في قصة آدم وحواء كما يفهمه السياق وصرح به في حديث أخرجه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من طريق الحسن بن سمرة مرفوعا وأخرجه ابن أبي حاتم وغيره بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما لكن آخر الآية مشكل حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء وآدم نبي مكلم والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعا وقد جرَّ ذلك بعضهم إلى حمل الآية على غير آدم وحواء وأنها في رجل وزوجته كانا في أهل الملل وتعدى إلى تعليل الحديث والحكم بنكارته.

وما زلت في وقفة من ذلك حتى رأيت ابن أبي حاتم أخرج بسنده إلى السدي في قوله " فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " قال: هذه فصل من آية آدم خاصة في آلهة العرب.

ومن طريق آخر عن السدي قال: هذا من الموصول المفصول ومن طريق ثالث إلى أبي مالك قال: هذه مفصولة أطاعاه في الولد " فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " هذه لقوم محمد فانحلت العقدة وانجلت لي هذه المعضلة واتضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء " فِيمَا آتَاهُمَا " وأن ما بعده تخلص إلى قصة العرب وإشراكهم الأصنام ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع

بعد التثنية ولو كانت القصة واحدة لقال" عما يشركان" كقوله " دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا " " فَلَمَّا آتَاهُمَا " وكذلك الضمائر في قوله {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا} [الأعراف: ١٩١] وما بعده إلى آخر الآيات وحسن التخلص والاستطراد من أساليب القرآن(١).

نقل ابن عقيلة هذا الكلام عن السيوطي ثم ذكر بأن الإشكال ما زال باقيا ولم تنحل المعضلة ومال رحمه الله إلى تأويل المفسرين للفظ الشرك(٢).

كذا نقل الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة هذا الكلام ومال إلى ما مال إليه ابن عقيلة من عدم حل الإشكال بكلام السيوطي ومال إلى كلام جمال الدين القاسمي(٣)، الذي أورد عدة روايات في أن المقصود من القصة آدم وحواء ثم حكم على هذه الروايات بأنها واهية معلة، وارتضى كلام ابن كثير في أن هذا من أقاصيص مسلمة أهل الكتاب وارتضى أن يكون المعني بهذه الآية الكريمة ذرية آدم ومن أشرك بعدهم، أو أن القصة وردت على جهة ضرب المثل، أو أن المراد جنس الذكر والأنثى، وإنما نسب هذه المقالة إلى الجنس وإن كان فيهم موحدون من باب بني فلان قتلوا قتيلا فالنسبة للبعض، ثم قال الدكتور إبراهيم خليفة: والحاصل أنه إن أريد بالنفس الواحدة الأب وزوجها الأم بما يشمل كل أم وأب فلا إشكال، وإن أريد أدم وحواء فالوجه أن في الكلام استخدام وهو محسن بديعي أن يعود الضمير في " يَسْكُنَ " على

١- الإتقان٢/٥٧٦: ٥٧٩

٢- الزيادة والإحسان ٣/٤٧٨: ٤٨١

٣- محاسن التأويل للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء الكتب العربية، بدون، ٧/٢٩٢٠: ٢٩٢٢

آدم وفي " إِلَيْهَا " إلى حواء ثم يعود في أول الضميرين في يغشاها للذكر وثانيهما للأنثى فينحل الإشكال بالكلية[1].

والذي أرتضيه وأميل إليه كون الآية الكريمة من الموصول المفصول فقد انقطع الكلام عند قوله تعالى " فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا " والمقصود شرك تسمية لا شرك عبادة " فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " مقطوع من قصة آدم عليه السلام غير مقصود به آدم وحواء عليها السلام. والله تعالى أعلم.

المطلب التاسع: موقف المؤمنين والمشركين في غزوة بدر

الآية الكريمة محل الشاهد

قال الله تعالى {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} [الأنفال: ٦]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

يتبادر إلى ذهن القارئ لهذا النص الكريم أن الآية الكريمة مسوقة لبيان حال المؤمنين وهي بسط كلام سابق حيث قال تعالى {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ} [الأنفال: ٥، ٦] فكأن هذا النص الكريم موصول بما قبله معني به المؤمنين لكن الحال على غير هذا كما سيتضح بعد قليل من دراسة هذا النص الكريم

ثانيا: دراسة النص الكريم

١- الموسوعة القرآنية المتخصصة ص١٩٨، ١٩٩باختصار

من الآيات الكريمة التي دخلها علم الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم هذه الآية الكريمة حيث اتصلت كلماتها وتبادر معنى إلى الذهن لا يصلح أن يكون مرادا فإذا ظهر المعنى المراد انحل الإشكال فقد يكون المراد بقوله" يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقّ " المشركين وقد يراد به المؤمنون وعلى كل مراد منهما فالنص له معنى يغاير المعنى على المراد الآخر .

ولقد أحسن ابن الجوزي حين قال: وفي المجادلين قولان أحدهما: أنهم طائفة من المسلمين قاله ابن عباس والجمهور، الثاني: أنهم المشركون قاله ابن زيد، فعلى هذا يكون جدالهم الحق الذي هو التوحيد لا في القتال، وعلى الأول يكون معنى قوله " كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ " أي في لقاء العدو " وَهُمْ يَنْظُرُونَ "لأن أشد حال من يساق إلى الموت أن يكون ناظرا إليه وعالما به، وعلى قول ابن زيد كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام لكراهتهم إياه[1].

وعلى ما سبق سار ابن عطية الأندلسي في المحرر الوجيز [2]، والسمين الحلبي في الدر المصون.

قال السمين: قوله تعالى " يُجَادِلُونَكَ " يحتمل أن يكون مستأنفا إخبارا عن حالهم بالمجادلة، ويحتمل أن يكون حالا ثانية أي أخرجك في حال مجادلتهم إياك، ويحتمل أن يكون حالا من الضمير في " لَكَارِهُونَ " أي كارهون في حال الجدال، والظاهر أن الضمير المرفوع يعود على الفريق

١- زاد المسير ٥٤١/١

٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ت٥٤٥هـ، ط دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣=٢٠٠٢، ص٧٧٩

المتقدم، ومعنى المجادلة قولهم كيف نقاتل ولم نعتد للقتال، ويجوز أن يعود على الكفار وجدالهم ظاهر قوله" بَعْدَمَا تَبَيَّنَ " منصوب بالجدال وما مصدرية أي بعد تبيينه ووضوحه وهو أقبح من الجدل في الشيء قبل اتضاحه، وقرأ عبد الله " بين" مبنيا للمفعول من بينته أي أظهرته قوله " وَهُمْ يَنْظُرُونَ " حال من مفعول " يُسَاقُونَ "[1].

وزاد العز بن عبد السلام: أو يجادلونك في الأنفال كما يجادلونك في القتال بقولهم أخرجنا للعير ولم نعلم بالقتال فنستعد له" وَإِنَّ فَرِيقًا " يعني المبتدئين الذين لم يستحكموا اليقين وقيل" يُجَادِلُونَكَ " مستأنف في المشركين " كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ " حين يدعون إلى الإسلام " لَكَارِهُونَ " لطلب المشركين" بَعْدَمَا تَبَيَّنَ " لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به كأنما يساقون إلى الموت كراهية للقاء العدو[2].

ثالثا: معنى الآية الكريمة على كونها من الموصول لفظا المفصول معنى

يتبين المعنى المراد من الآية الكريمة على كونها من الموصول لفظا المفصول معنى أن المراد من الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أخبر المؤمنين بأمر القتال في غزوة بدر أخذ بعضهم يجادل في أمر القتال، هذا لأنهم كما قالوا إنما جئنا للعير لا للنفير، هذا على كون الآية مرادا بها

١- الدر المصون ٥/٥٦٣

٢- تفسير القرآن العظيم لعز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ت٦٦٠هـ من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة، رسالة دكتوراه، إعداد يوسف محمد رحمة الشامي، إشراف عبد الستار فتح الله سعيد ١٤١٨=١٩٩٨، ط أم القرى ص٨٤٦

المؤمنون، أما على كون المراد من الآية هو الكافرين فيكون المعنى أنها مقطوعة مما قبلها، فالكافرون يجادلون في أمر الإسلام فلا يقبلونه بيسر وسهولة حتى إنه يقع على أنفسهم مثل وقع من يموت وهو شاهد مجيء الموت إليه.

قال الزركشي رحمه الله تعالى: وقوله" كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ " فإنه متصل بقوله" وإن فريقا من المؤمنين لكارهون كأنما يساقون"[1].

ومراد الزركشي أن الآية مقطوعة عن ما قبلها إذ قوله تعالى" يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ " يراد به الكافرون وعلى هذا فالآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى والله تعالى أعلم.

المطلب العاشر: رفع الحرج عن الغير الواجد

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى{وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ } [التوبة: ٩٢]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

ربما يتبادر إلى ذهن القارئ لهذه الآية الكريمة أن قوله تعالى" قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ " هو جواب الشرط وليس الحال كذلك لأن الآية من الموصول لفظا المفصول معنى وفي السطور الآتية بيان ذلك:

---

[1]- البرهان ١/٥٠

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى حيث قال الزركشي رحمه الله تعالى في معرض الحديث عنها: وقد يكون اللفظ متصلا بالآخر والمعنى على خلافه كقوله تعالى" وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ " جواب الشرط قوله تعالى " وَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ " وقوله " قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ " داخل في الشرط[1].

من هنا يظهر أن هذه اللفظة الكريمة " قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ " داخلة في الشرط وليست هي الجواب أو من الجواب وقد أبان الإمام النسفي عن هذا في تفسيره فقال" وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ " لتعطيهم الحمولة " قُلْتَ " حال من الكاف في أتوك " وقد" قبله مضمرة أي إذا ما أتوك قائلا " لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ " ويجوز أن يكون لا أجد استئنافا كأنه قيل إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين " قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ " " ألا" وسط بين الشرط والجواب كالاعتراض "تَوَلَّوْا" هو جواب إذا و" حَزَنًا " مفعول له[2].

وإلى هذا معنى أشار الإمام القاسمي في تفسيره فقال : وقوله تعالى " تَوَلَّوْا "جواب إذا أي خرجوا من عندك " وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ " أي في الحملان فهؤلاء وإن كانت لهم قدرة على تحمل المشاق فما عليهم من سبيل أيضا[3].

١- البرهان في علوم القرآن ٥١/١

٢- تفسير النسفي٦٧٦/١

٣- محاسن التأويل للقاسمي٣٢٣٢/٨

ولهذا احتج كثير من القراء إلى كون الوقف التام على قوله تعالى" يُنْفِقُونَ " في آخر الآية حتى لا يفصل بين الشرط والجواب كابن الأنباري وأبي عمرو الداني حتى نص السجاوندي على أن كلمة " تَوَلَّوْا " صلة" الَّذِينَ " والوقف على كلمة" يُنْفِقُونَ "[1].

ثالثا: معنى الآية الكريمة على كونها من الموصول لفظا المفصول معنى

مما سبق يظهر جليا أن دخول هذه الآية الكريمة في علم الموصول المفصول قد أبان غن الإعراب الصحيح للآية الكريمة، فظهر أن جواب الشرط هو قوله تعالى" تَوَلَّوْا " دون قوله" قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ " وبان بأن هذه الجملة الأخيرة صلة للفظ " الَّذِينَ " من جملة الشرط لا دخل لها في الجواب كما يتبادر إلى بعض الأذهان. والله تعالى أعلم.

[1]- انظر المكتفي لأبي عمرو الداني ص٢٩٧، إيضاح الوقف والتمام لابن الأنباري ٦٩٧/٢، الوقف والابتداء للسجاوندي ص ٢٢٥

المطلب الحادي عشر: لمحة من قصة يوسف عليه السلام

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى {قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف:٥١: ٥٣]

أولا: المعنى المتبادر من قراءة النص الشريف

يتبادر إلى ذهن القارئ لهذا الموضع من القرآن الكريم أن جملة الكلام من أوله إلى آخره من كلا م امرأة العزيز، وليس الحال كما هو المتبادر لأن هاتين الآيتين من الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم وفي السطور الآتية بيان لذاك.

ثانيا: دراسة النص الشريف

هذا النص الكريم من سورة يوسف عليه السلام ينتمي إلى علم الموصول لفظا المفصول معنى حيث اتسق الكلام من أوله إلى آخره كأنه متكلم واحد وهو امرأة العزيز، لكنه ليس كذلك فهو لامرأة العزيز في موضع في الآية الكريمة، ثم تكلم يوسف عليه السلام ثم أكملت امرأة العزيز كلامها.

وقد ذهب جمع كبير من المفسرين إلى ما سبق لم يخالف منهم إلا القليل، فممن ذكر أن هذه الآية من الموصول المفصول ابن قتيبة وابن الجوزي والسيوطي وابن عقيلة رحمهم الله تعالى.

قال ابن قتيبة وقوله تعالى " الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ " هذا قول المرأة ثم قال يوسف " ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ

بِالْغَيْبِ" أي ليعلم الملك أني لم أخن العزيز بالغيب ونقله ابن الجوزي والسيوطي وابن عقيلة[١].

ومن مفسري المعتزلة ذهب أبو مسلم الأصفهاني إلى القول بذلك فقال: " أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ " في زوجته أي في حال غيبته عني عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك[٢].

ومن المفسرين من مال إلى أن جملة الكلام من قول المرأة مثل البلخي في تفسيره والجبائي.

قال البلخي: إنه من قول المرأة والمعنى أن أعترف على نفسي بذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب لأن العزيز سألها ولم يكن يوسف حاضرا[٣].

وتابعه على قوله أبو علي الجبائي واستشهد لكلامه هذا بأن الكلام منسوق على الكلام المحكي عن المرأة بلا شك ألا ترى تعالى قال" قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ... بِالسُّوءِ" فنسق الكلام على كلام المرأة، وعلى هذا التأويل يكون التبرؤ من الخيانة هو ذلك" ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ " من كلام المرأة لا من كلام يوسف عليه السلام ويكون المكنى عنه في قولها " أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ " هو يوسف عليه السلام دون زوجها لأن زوجها قد خانته في

١- تأويل مشكل القرآن ص٢٩٤، المدهش لابن الجوزي ص٣٨، الإتقان للسيوطي٢/٥٨١، الزيادة والإحسان ٣/٤٨٣

٢- تفسير أبي مسلم الأصفهاني ص١٥٨

٣- تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي ت٣١٩هـ ، تحقيق خضر محمد بنها، تقديم د. رضوان السيد، طدار الكتب العلمية بيروت، ط١ن ١٤٢٨= ٢٠٠٧ص٢٤٣

الحقيقة بالغيب، وإنما أرادت أني لم أخن يوسف عليه السلام وهو غائب في السجن ولم أقل فيه لما سئلت عنه وعن قصتي معه إلا الحق[١].

وممن انتصر لهذا الرأي ابن كثير في تفسيره فقال: والقول الأول وهو أن الكلام من كلام امرأة العزيز هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاه الماوردي في التفسير وانتدب لنصره الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى وأفرده بالتصنيف على حدة.

ثم حكى الكلام من يوسف عليه السلام ثم قال: والقول الأول هو الأظهر لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك [٢].

وممن حكى القولين معا دون ترجيح الإمام ابن عطية في المحرر الوجيز[٣] والقرطبي في تفسيره ونذكر هنا من كلام القرطبي جمعا للأقوال ثم نذكر ما يميل إليه القلب.

قال القرطبي: قوله تعالى" ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ " اختلف فيمن قاله فقيل: هو من قول امرأة العزيز وهو متصل بقولها" الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ " أي أقررت بالصدق ليعلم أني لم أخنه بالكذب عليه ولم أذكره بسوء وهو

١- تفسير أبي علي الجبائي ت٣٠٣هـ، تحقيق خضر محمد بنها، تقديم د. رضوا ن السيد، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٨= ٢٠٠٧، ص٣٢٤: ٣٢٦ بتصرف

٢- تفسير ابن كثير ٢٢٨/٤

٣- المحرر الوجيز لابن عطية ص١٠٠١

غائب بل صدقت وحدت عن الخيانة ثم قالت" وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي " بل أنا راودته وعلى هذا هي كانت مقرة بالصانع ولهذا قالت" إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ "

وقيل: ومن قول يوسف عليه السلام أو قال يوسف عليه السلام ذلك الأمر الذي فعلته من رد الرسول" لِيَعْلَمَ " العزيز" أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ " قاله الحسن وقتادة وغيرهما وإنما قال يوسف ذلك بحضرة الملك وقال" لِيَعْلَمَ " على الغائب توقيرا للملك وقيل قاله إذ عاد إليه الرسول وهو في السجن بعد.

وقيل" ذَلِكَ لِيَعْلَمَ " من قول العزيز أي ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب وأني أغفل عن مجازاته على أمانته" وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ " معناه أن الله لا يهدي كيد الخائنين بكيدهم"[1].

ثالثا: أثر علم الموصول لفظا المفصول معنى في معنى الآية الكريمة

من جملة ما سبق من كلام المفسرين يتضح جليا أن علم الموصول المفصول لما دخل هذه الآية الكريمة أبان عن معان أخرى غير ما كان مقصودا لو كان الكلام كله لامرأة العزيز، ومن ذلك إعلان يوسف عليه السلام البراءة من الخيانة أمام جموع من حضر في مجلس الملك.

ولا أملك إلا أن أنقل كلام العلامة أبي بكر بن الأنباري في هذه القضية وهو يقول: ومن الناس من يقول" ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ " إلى " إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ " من كلام امرأة العزيز لأنه متصل بقولها" أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ " وهذا مذهب الذين ينفون الهم عن يوسف فمن

---

[1] – الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري القرطبي ، ط دار الريان للتراث، بدون، ٣٤٣٨/٥

بنى على قولهم قال: من قوله" قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ " إلى قوله" إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ " كلام متصل بعضه ببعض، ولا يكون فيه وقف تام على حقيقته ولسنا نختار هذا القول ولا نذهب إليه[1].

المطلب الثاني عشر: براءة الظالم من خليله يوم القيامة

الآية الكريمة محل الشاهد

قال الله تعالى {لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: ٢٩]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

يظهر من النص لكريم لمجرد قراءته أن هذا الكلام بجملته من قول الظالم وكأنه يدري ويعي أن الشيطان يخذل الإنسان، وفي السطور الآتية ما يتكشف عنه البحث حول هذه الآية الكريمة.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذا النص الحكيم من الموصول لفظا المفصول معنى فقد نص العلماء على أن هذه الآية من هذا الوجه حيث جعلوا تمام الوقف عند قوله تعالى" جَاءَنِي " ثم الابتداء من قوله تعالى " وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا "

قال الداني:" بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي " تام لأنه آخر كلام الظالم وما بعده من قول الله تعالى ثم أخرج بسنده إلى يحي بن سلام في قوله " لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي " يعني القرآن قال الله تعالى" وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا " يأمره بمعصية الله ثم يخذله في الآخرة.

---

١ – إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٧٢٥/٢

وقال في موضع آخر: وكذلك " لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي " هنا التمام أيضا لأنه انقضاء كلام الظالم الذي هو أبي بن خلف ثم قال الله عز وجل " لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي " وهو رأس الآية[١].

وقال السجاوندي" إِذْ جَاءَنِي " وقف مطلق لأن ما بعده من أخبار الله تعالى[٢].

وتابعه على هذا القسطلاني في لطائف الإشارات[٣].

والأشموني وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري

قال الأشموني:" بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي " تام لأنه آخر كلام الظالم وما بعده من كلام الله تعالى وهذا إن جعل ما بعده مستأنفا، فإن جعل الكلام متصلا من قوله" {يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ } [الفرقان: ٢٧]..."إلى آخر كلامه فلا وقف إلا على آخره " خَذُولًا " تام[٤].

---

١ – المكتفي للداني ص ١٤١،٤١٦

٢ – الوقف والابتداء ص ٣٠٦

٣ – لطائف الإشارات ٣١٤/٣

٤ – منار الهدى للأشموني ص٢٧٤، المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتدا لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ط مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٣=١٩٧٣، ص ٢٧٤

ومن المفسرين قال السخاوي: " الشَّيْطَانُ " إشارة إلى خليله أو إلى إبليس أو إلى الجنس أو كل من شيطان من الجن والإنس وهذا الكلام من كلام الظالم أو كلام مستأنف[١].

ثالثا: أثر علم الموصول المفصول في بيان معنى الآية الكريمة.

هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى ولأجل هذا ظهر لها معنى آخر غير ما تبادر إلى الذهن حيث يذهب من يقرؤها لأول مرة إلى أنها من كلام الظالم لكن لو عرف هذا القارئ أن فيها وصلا لفظيا وفصلا معنويا لفهم أنها على قسمين قسم ممن كلام الظالم وهو " الشَّيْطَانُ " ثم قال الله تعالى" وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا "

قال القرطبي: " لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ " أي يقول هذا النادم لقد أضلني من اتخذته في الدنيا خليلا عن القرآن والإيمان به، وقيل عن الذكر أي عن الرسول" وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا " قيل هذا من قول الله تعالى لا من قول الظالم وتمام الكلام على هذا عند قوله " بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي "[٢].

والله تعالى أعلم.

---

١ – تفسير السخاوي ٦٣٤/١

٢ – تفسير القرطبي ٤٧٤٢/٧

المطلب الثالث عشر: من صفات الملوك

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون} [النمل: ٣٤]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

هذا النص الكريم كسابقه يظهر أن جملته من قول ملكة سبأ وهذا ما يتبادر إلى الذهن وليس مرادا، وفي السطور الآتية دراسة لهذا المنحى.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذه الآية الكريمة من الآيات التي يكاد يجمع عليها المفسرون أنها من الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم، حيث نص على ذلك من علماء علوم القرآن ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، وابن الجوزي في المدهش، والسيوطي في الإتقان، وابن عقيلة المكي في الزيادة والإحسان[١].

قال ابن قتيبة: باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، ومنه أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان: نحو قوله تعالى" إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً " ثم قال " وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون " وليس هذا من قولها وانقطع الكلام عند قوله" أَذِلَّةً " ثم قال الله تعالى" وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون "[٢].

---

١ – انظر تأويل مشكل القرآن ص٢٩٤، المدهش ص٣٨، الإتقان ٥٨١/٢، الزيادة والإحسان ٤٨٣/٣

٢ – تأويل مشكل القرآن ص٢٩٤

وتابعه على ذلك من سبق ذكرهم ومن المفسرين الفراء في معاني القرآن، وأبو الليث السمرقندي وابن برجان وابن كثير والنسفي.

قال الفراء: " قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا..." جواب لقولهم " {نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيد} [النمل: ٣٣] " فقالت إنهم إن دخلوا بلادكم أذلوكم وأنتم ملوك فقال الله" وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون "[١].

وقال أبو الليث السمرقندي" وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون " قال ابن عباس: هذا قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم.قال" وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون " تصديقا لقول المرأة .

قال الحسن: هذا قول بلقيس إن سليمان وجنوده كذلك يفعلون وأكثر المفسرين على خلاف ذلك[٢].

قا ابن برجان: " قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً " هذا كلام المراد وهو كلام متصل بالحكمة، ثم استأنف كلاما قائما بنفسه مصدقا لكلامها قوله" وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون " هذا قول الله جل جلاله وقوله ا لحق وله الملك يوم ينفخ في الصور ولا يخلو الملك الداخل أن يكون مؤمنا صالحا أو كافرا فاسقا فإن كان كافرا أفسد على المدخول عليهم دينهم ودنياهم وإن كان صالحا والمدخول عليهم كافرون أفسد عليهم دنياهم وربما

---

١ – معاني القرآن ٨٠٦/٢

٢ – بحر العلوم للعلامة نصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ط دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦= ١٩٩٦، ٦٠٧/٢

اقتصر على تغيير منازلهم عن الملك وحطهم عن مراتبهم وذلك الذي عنته المرأة [١].

وتابعه ابن كثير في تفسيره[٢].

وللإمام النسفي في هذا الصدد كلام لطيف يحسن أن نذكره قال: فلما أحست منه المحاربة مالت إلى المصالحة، ورتبت الجواب فزيفت أولا ما ذكروه، وأرتهم الخطأ فيه حيث قالت " أَفْسَدُوهَا " خربوها " وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً " أذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت " وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون " أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت، وقيل هو تصديق من الله لقولها، واحتج الساعي في الأرض بالفساد بهذه الآية، ومن استباح حراما فقد كفر وإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين، ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدنة وما رأت في الرأي السديد[٣].

ثالثا: أثر الموصول لفظا المفصول معنى في بيان معنى الآية الكريمة

لما كانت هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى ظهر من معانيها أنها ليست بجملتها من كلام بلقيس، فهي في النهاية فوق كونها

---

١ – تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم للإمام عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبدالرحمن بن الحكم اللخمي الإفريقي ثم الإشبيلي المعروف بابن برجان ت٥٣٦، تحقيق د. فاتح حسني عبد الكريم، مراجعة د. رأفت محمد رائف المصري، ط دار النور المبين، ط ١، ٢٠١٦، ١٨٠٠/٤

٢ – تفسير ابن كثير ٦١/٦

٣ – تفسير النسفي ٦٢٩/٢

امرأة لا سداد لرأيها في الغالب فهي بشر لا صلة لها بالأحكام الغيبية القاطعة، ولكن الآية جزء منها من كلامها وجزء فيه تصديق من الله تعالى لكلامها، فالآية الكريمة في جزئها الأول من كلامها، وفي مقطعها الثاني من كلام الله تعالى تصديق لكلامها، وفي هذا ما فيه من حصول هذه الجملة التي صدق الله تعالى عليها حيث يجب أن تؤخذ في الاعتبار وتوضع في الحسبان عند تعامل الناس مع الملوك في كل زمان والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع عشر: من مشاهد يوم القيامة

الآية الكريمة موطن الشاهد

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: ٥١، ٥٢]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

يظهر من النص الكريم أن جملته من كلام الكفار عند معاينتهم ما وعدهم الله تعالى وكذبوا به، والحال غير ذلك لما قاله المفسرون من أن الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى، وفي السطور الآتية دراسة لهذا الموضع الكريم من كتاب الله تعالى.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذا النص الكريم من الموصول لفظا المفصول معنى حيث إن أول النص من كلام الكفار، وآخره من كلام المؤمنين أو من كلام الملائكة.

وممن نص على كونه من الموصول لفظا المفصول معنى ابن قتيبة الدينوري وابن الجوزي والسيوطي وابن عقيلة المكي[١].

قال السيوطي: قال ابن الجوزي: ومثله" مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا " انتهى قول الكفار فقالت الملائكة " هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون "

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في هذه الآية قال: آية من كتاب الله تعالى أولها أهل الضلالة وآخرها أهل الهدى قال" يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا " هذا قول أهل النفاق وقال أهل الهدى حين بعثوا من قبورهم" هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون "[٢].

وسار على هذا جمع من أهل التفسير منهم هود بن محكم الهواري والسخاوي والنسفي وابن الجوزي والشوكاني.

قال الشيخ هود: " قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا " قال بعضهم : تكلم بأول هذه الآية أهل الضلالة وبآخرها أهل الإيمان قال أهل الضلالة " يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا" وقال المؤمنون" هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون" وذكروا عن الحسن عن أبي بن كعب مثل ذلك، وذكروا عن زيد بن أسلم قال: قال الكفار: " مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا" قالت الملائكة" هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون" قال بعضهم هم الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد[٣].

---

١ – تاويل مشكل القرآن ص٢٤٩، فنون الأفنان ص١٦٢، الإتقان ٥٨٢/٢، المدهش ص٣٨، الزيادة والإحسان ٤٨٣/٣

٢ – الإتقان ٥٨٢/٢

٣ – تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي ، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط ١، ١٩٩٠، ٤٣٦/٣

قال السخاوي: قوله"هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ" من كلام الملائكة أو كلام المتقين وقيل من كلام الكفار يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيب بعضهم بعضا به[١].

ونقل هذا الكلام بمعناه ابن الجوزي والنسفي[٢]. والشوكاني في فتح القدير حيث قال: "هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون" جواب عليهم من جهة الملائكة أو من جهة المؤمنين وقيل هو من كلام الكفرة يجيب به بعضهم على بعض، قال بالأول الفراء، وقال بالثاني مجاهد، وقال قتادة: هو من قول الله سبحانه[٣].

ثالثا: أثر علم الموصول المفصول في إثراء معنى الآية

من جملة كلام المفسرين الذي سبق قبل قليل يظهر أن الآية الكريمة بان من معانيها الكثير عندما كانت من المتصل لفظا المنفصل معنى، حيث ظهر أن أولها من كلام أهل الضلالة وآخرها من كلام أهل الهدى وهم المنفقون، أو الملائكة على قول جماهير العلماء، أو من قول الله تعالى على قول قتادة، أو هو من قول الكفار كاملة على قول بعض المفسرين. والله تعالى أعلم.

---

١ – تفسير القرآن العظيم للإمام علم الدين بن أبي الحسن علي بن محمد عبد الصمد السخاوي المصري ت٦٤٣، تحقيق د.موسى علي موسى موسى مسعود، د.أشرف محمد عبد الله القصاص، ط دار النشر للجامعات، ط ١، ١٤٣٠=٢٠٠٩، ١٨١/٢

٢ – زاد المسير لابن الجوزي ص١١٧٥، تفسير النسفي ١٥٧/٣

٣ – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسيرللإمام محمد بن علي الشوكاني ت١٢٥٠، تحقيق سيد إبراهيم، ط دار الحديث، ١٤٢٣=٢٠٠٣، ٤١٦/٤

المطلب الخامس عشر: نبأ الخصمين

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [ص: ٢٤]

أولا: المعني الظاهر من النص الكريم

يتبادر إلى الذهن لمجرد قراءة النص الحكيم أن الكلام متصل ولا وقف فيه من أول الآية إلى آخرها، وليس الحال كذلك، وفي السطور الآتية نقل لكلام العلماء في هذا الشأن.

ثانيا: دراسة النص الحكيم

ذكر الشيخ ابن عقيلة المكي أن هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم، حيث قال: ومن ذلك أيضا قال الله تعالى شأنه في قصة داود" قال قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِه ... وَقَلِيلٌ مَا هُمْ " انتهى الكلام " وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ " أي تيقن داود أن التحاكم ما كان إلا امتحانا له وابتلاء واثباتا للحجة فاستغفر ربه وأناب [١].

١ – الزيادة والإحسان ٤٨٤/٣

قال الرماني: " وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ " وقيل أنا شددنا عليه في التعبد[١].

وقد تابع ابن عقيلة الإمام القسطلاني والداني والأشموني رحمهم الله تعالى.

قال القسطلاني: والوقف على " مَا هُمْ " تام لا الأول وفاقا للداني وغيره لوصفهم بالقلة فلا يفصل بينهما[٢].

وقال الداني: قال ابن الأنباري: " إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ " تام ثم تبتدئ " وَقَلِيلٌ مَا هُمْ " على معنى وقليل هم وما صلة للكلام، وهو قول الأخفش وأبي حاتم والتمام عندي " وَقَلِيلٌ مَا هُمْ " لأن ذلك من الكلام الأول والمعنى وقليل ما هم المؤمنون الذين لا يبغون[٣].

وذكر الأشموني أن الوقف على هذا الموضع " وَقَلِيلٌ مَا هُمْ " تام[٤].

وذكر شيخ الإسلام زكريا أن الوقف على " الصَّالِحَاتِ " تام وعلى " وَقَلِيلٌ مَا هُمْ " أتم منه[٥].

---

١ – تفسير أبي الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني ت ٣٨٤، وهو المسمى الجامع لعلم القرآن ، جمع وتحقيق د. خضر محمد نبها، تقديم د. رضوان السيد، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٤٤٩

٢ – لطائف الإشارات ٥٢٧/٣

٣ – المكتفي للداني ص٤٨٢

٤ – منار الهدى ص٣٢٩

٥ – حسن المقصد ص٣٢٩

ثالثا: المعنى على كون هذه الآية الكريمة موصولة اللفظ مفصولة المعنى

مما سبق من كلام القراء يظهر جليا أن الكلام تم عند قوله تعالى" وَقَلِيلٌ مَا هُمْ " ثم قال الله تعالى" وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ..."

فظهر أن الآية تنقسم قسمان أولها كلام لداود عليه السلام، وآخرها كلام لله جل جلاله. والله تعالى أعلم.

وبعد فهذا ما وقفت عليه من علم الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم مما تعين اتصاله، وفي الصفحات الآتية أتعرض بحول الله تعالى للقسم الثاني من هذا العلم وهو ما تعين انقطاعه.

المبحث الثاني: ما تعين الانقطاع

وفيه

خمسة مطالب

المبحث الثاني: ما تعين الانقطاع وفيه خمسة مطالب

تمهيد بين يدي هذا المبحث

سبق عن قريب أن تناولت في المبحث السابق النوع الأول من أنواع متصل اللفظ منفصل المعنى في القرآن الكريم، وهو ما تعين اتصاله، أي لا يزال القراء يقرؤونه متصلا، ولا غضاضة في جواز هذا لأنه لا يوهم، ولكن لابد من معرفة معناه على هذا الاتصال فيعرف قائله إذا احتمل كونه لقائل واحد ويعرف المعنى المراد منه إذا أشكل معناه بأن تبادر من لفظه معنى غير مراد.

وفي هذا المبحث أتناول بحول الله تعالى الآيات التي تعين كونها منقطعة فتقرأ على هذا الوجه حتى لا توهم معنى غير مراد فتوقع القارئ في المحظور والله المستعان.

المطلب الأول: من صفات القرآن الكريم

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

يظهر من هذه الآية الكريمة فضل القرآن الكريم حيث تشير الآية الكريمة إلى بعد مكانة القرآن الكريم الذي لا ريب فيه أي لاشك فيه حيث هو الهداية التي تقود إلى التقوى.

ومعلوم أن الآية الكريمة إما أن تقرأ" ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ" "فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين" وإما أن تقرأ " ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ " " هُدًى لِلْمُتَّقِين " ولا تقرأ الآية الكريمة بغير هاتين الكيفيتين وإلا لذابت المعاني المودعة فيها.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذه الآية الكريمة من سورة البقرة من الموصول لفظا المفصول معنى حيث اتصل لفظها وانقطع معناها، وليست هذه الآية الكريمة مما جاز أن تقرأ متصلة مثل سوابقها في الفصل السابق، ولكن يتعين قراءتها بكيفية معينة لأنها مما تعين انقطاع معناه فلا تقرأ متصلة حتى لا تعطي معنى غير مراد، وعلى هذا حوت هذه الآية الكريمة وقفا متعانقا، وهو ما إذا وقفت على أحد طرفيه امتنع الوقف على طرفه الآخر حتى لا يختلط المعنى.

وإلى هذا المعنى أشار العلماء في كتبهم.

قال الزركشي والسيوطي: وما تعين أن يكون منقطعا قوله" فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين" منهم من قضى باستئنافه على أنه مبتدأ وخبر، ومنهم من قضى بجعل " فِيهِ " خبر "لا" و"هُدًى" نصب على الحال في تقدير هاديا [1].

وقال السيوطي: قد يجيزون الوقف على حرف وعلى آخر ويكون بين الوقفين مراقبة على التضاد، فإذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر، كمن أجاز الوقف على " لَا رَيْبَ " فإنه لا يجيزه على " فِيهِ " والذي

---

١ – البرهان ٥١/١

يجيزه على" فِيهِ " لا يجيزه على " لَا رَيْبَ " وكالوقف على {وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُب} [البقرة: ٢٨٢] فإن بينه وبين {كَمَا عَلَّمَهُ اللَّه} [البقرة: ٢٨٢] مراقبة[١].

كذا قال ابن الجزري في النشر[٢].

فانظر كيف ذكر العلماء أن هذا الموضع وأمثاله من القرآن الكريم مما ينتمي إلى علم الموصول لفظا المفصول في المعنى لكنه متعين الانقطاع في اللفظ أيضا.

ثالثا: معنى الآية الكريمة على إعمال الموصول المفصول فيها

يتبين أن المعنى الذي ذكره المفسرون في كتبهم حول هذه الآية الكريمة على أنها من الموصول لفظا المفصول معنى هو أن يكون المراد منها" ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ " وهو " هُدًى لِلْمُتَّقِين "

أو أن يكون المراد " ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ" أي هذا هو الكتاب الحق دون شك "فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين " يعني حوى الهداية التي تقود إلى تقوى الله تعالى. والله أعلم.

---

١ – الإتقان للسيوطي ٥٥٦/٢

٢ – النشر في القراءات العشر ٢٣٧/١

المطلب الثاني: في مواضع في القرآن الكريم يوقف عندها ويبتدأ بما بعدها

من الآيات التي يتعين انقطاعها عما قبلها حتى لا توقع لبسا في فهم المراد من الآية الكريمة سبع آيات وقعت في القرآن الكريم بدأت بلفظ " الذين" كما ذكر علماء الوقف والابتداء، إذ لو وصلت هذه الآيات لأوهمت أنها نعت لما قبلها، ولا يخفى ما في هذه المواضع من اللبس لو كانت على هذا الحال، وفي السطور الآتية تعرض لهذه الآيات الكريمة السبعة وعدة آيات شابهت هذه الآيات الكريمة.

قال الأشموني: كل ما في القرآن الكريم من ذكر الذين والذي يجوز فيه الوصل بما قبله نعتا، والقطع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ حذف خبره، إلا في سبعة مواضع فإنه يتعين الابتداء بها

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [البقرة: ١٢١]

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٤٦]

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسّ} [البقرة: ٢٧٥]

{الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [التوبة: ٢٠]

{الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيل} [الفرقان: ٣٤]

{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ} [غافر: ٧]

لا يجوز وصلها بما قبلها لأنه يوقع في المحظور[١].

وقد ذكر بعض هذه المواضع العلامة ابن الجوزي في كتابه عجائب علوم القرآن فقال رحمه الله تعالى: وفي البقرة { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ٢٧٤] فيقف ثم يبتدئ {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا} [البقرة: ٢٧٥]

وفي براءة {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين} [التوبة: ١٩] يقف ثم يبتدئ {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا [التوبة: ٢٠]

وفي النحل {وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} [النحل: ٩٠] يقف ثم يبتدئ { يَعِظُكُمْ} [النحل: ٩٠]

وفي حم المؤمن {عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } [غافر: ٦] يقف ثم يبتدئ " {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَه} [غافر: ٧]

وفي الحشر {إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧] يقف ثم يبتدئ {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِين} [الحشر: ٨] [٢]. وذكر الزركشي رحمه الله تعالى هذه المواضع السبعة في برهانه وبين أنها من الابتداء بها مقطوعة عما قبلها لما ذكره ان الجوزي قبل[٣].

---

١ – منار الهدى ص١٩

٢ –عجائب علوم القرآن ص١٦٢

٣ – البرهان ٣٥٧/١

وذكر السيوطي هذه المواضع في إتقانه[١].

ونقلها ابن عقيلة في الزيادة والإحسان [٢].

وأشار إليها الشيخ محمود خليل الحصري في معالم الاهتدا[٣].

قال الشيخ الحصري في تعريف الوقف اللازم والحذر مما يوهم لو وصلت مواضع الوقف اللازم بما بعدها : الوقف اللازم الوقف على كلمة لو وصلت بما بعدها أوهم وصلها معنى فاسدا، ومن أمثلته في رؤوس الآي الوقف على " الظالمين" في قوله {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِين} [البقرة: ١٤٥] فالوقف على الظالمين لازم، وهو رأس آية لأنه لو وصل بقوله {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَاب} [البقرة: ١٤٦] لتوهم أن الاسم الموصول صفة للظالمين وليس كذلك بل هو مبتدأ خبره جملة" يعرفونه" والمقصود به مدح من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه.

ومن الأمثلة الوقف على النار في قوله تعالى {وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ} [غافر: ٦] فالوقف على النار وهو رأس آية لازم لأنه لو وصل بقوله{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْش} [غافر: ٧] لتوهم أن الاسم الموصول صفة لأصحاب النار وليس كذلك بل هو مبتدأ خبره

---

١ – الإتقان ٥٦٣/٢

٢ – الزيادة والإحسان ٤٣٠/٣

٣ – معالم الاهتدا في معرفة الوقف والابتدا للشيخ محمود خليل الحصري، ط مكتبة السنة، ط١، ١٤٢٣=٢٠٠٢، ص ٩٥

جملة {يُسَبِّحُونَ } [غافر: ٧] والمقصود من الآية بيان أحوال حملة العرش وموقفهم بإزاء المؤمنين من البشر[١].

قلت: ويقال مثل ذلك في باقي الآيات السبعة التي سبق الإشارة إليها وعلى هذا توهم خلاف المقصود.

ولهذا رأينا القسطلاني وغيره من القراء يذكرون في مثل هذه المواضع أن الوقف تام.

قال القسطلاني: الوقف على {النَّارِ } [غافر: ٦] تام لأن التالي رفع بالابتداء خبره {يُسَبِّحُونَ } [غافر: ٧] وقد استحب الوقف عليه فإنه لو وصل ربما يفهم منه الغير أن "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْش" نعت ل" أَصْحَابُ النَّار" ولا يخفى ما فيه[٢].

وقال النحاس: ثم أخبر أن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين فقال {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ... الْجَحِيمِ [٣].

وقد أشار أبو عمرو الداني إلى هذا الموضع السابق وما شابهه منها فقال: {وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ}

---

١ – معالم الاهتدا ص ٥٥ بتصرف يسير

٢ – لطائف الإشارات للقسطلاني ٥٥٦/٣

٣ – معاني القرآن الكريم لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المعروف بالنحاس أو بابن النحاس ت ٣٣٨هـ، تحقيق محمد على الصابوني، ط١، ١٤٠٨=١٩٨٨ ط جامعة أم القرى ص٢٠٥

[غافر: ٦] هاهنا التمام ولا يجوز أن يوصل بقوله {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَه} [غافر: ٧] ويقطع عليه ويجعل خاتما للآية وكذلك ما أشبهه[١].

وقل مثل هذا في كل موضع من مواضع الوقف اللازم في القرآن الكريم من الآيات التي لو وصلت لأوهم وصلها خلاف المعنى المراد، مثل قوله تعالى" { يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِين} [الإنسان: ٣١] إذ لو وصل لأوهم أن الظالمين يدخلهم الله تعالى في رحمته. ومثل {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى} [الأنعام: ٣٦] وأشباه هذا كثير في القرآن الكريم.

وقد كتب فيها بعضهم كتاب الوقف اللازم في القرآن الكريم واستوعب الكلام عليه في مواضعه.

وعلى هذا يمكن أن يقال إن مواضع الوقف اللازم في القرآن الكريم يدخل كثير منها في الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم، ومظنة هذا كتب القراءات لمن أراد التوسع في الأمثلة. والله تعالى أعلم.

---

١ – الوقف اللازم في القرآن الكريم لأبي عبد الرحمن جمال بن إبراهيم القرشي، ط١، ١٤٢٧هـ، ط الدمام.

المطلب الثالث: صورة من حياة ابني آدم

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى{فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) مِنْ أَجْلِ ذَلِك} [المائدة: ٣١، ٣٢]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

ربما يتبادر إلى ذهن السامع أو القارئ أن لفظة " ذَلِك " في الآية الكريمة تعود على قوله" أَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ" أو يتعلق به وليس هذا هو المراد وسيتضح عند دراسة النص الكريم مراد الآية الكريمة.

ثانيا: دراسة هذا النص

نص العلماء في كتبهم على أن هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم ومن هؤلاء الإمام الزركشي في البرهان فال: ولا يخفى انقطاع قوله" {فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ } [المائدة: ٣١] عن قوله {مِنْ أَجْلِ ذَلِك...} [المائدة: ٣٢] فأنت ترى أن الزركشي رحمه الله تعالى جعل هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى، وقد تعين انقطاعه في المعني ولو وصل في اللفظ، وتابعه على هذا جمهور العلماء من المفسرين وأصحاب المعاني إلا أنه قد حكى قولا آخر بأن هذه الجملة القرآنية متعلقة بكلمة " النَّادِمِينَ " وفي السطور الآتية سرد لبعض أقوال العلماء في ذلك:

قال ابن عطية: تفسير قول الله عز وجل" من أجل ذلك " جمهور الناس على أن قوله " من أجل ذلك" متعلق ب {كَتَبْنَا} [المائدة: ٣٢] أي بسبب هذه النازلة ومن جراها كتبنا وقال قوم: بل هو متعلق بقوله {مِنَ النَّادِمِين}

[المائدة: ٣١] أي ندم من أجل ما وقع، والوقف على هذا على ذلك والناس على أن الوقف على " مِنَ النَّادِمِين "[١].

وقال ابن الجوزي مرجحا كلام الجمهور" مِنْ أَجْلِ ذَلِك " قال الضحاك من أجل ابن آدم الذي قتل أخاه ظلما.

قال أبوعبيدة: من جناية ذلك ومن جرى ذلك وقال قوم: الكلام متعلق بما قبله والمعنى" فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ مِنْ أَجْلِ ذَلِك" فعلى هذا يحسن الوقف هاهنا، وعلى الأول لا يحسن الوقف والأول أصح[٢].

وقال القسطلاني: " مِنَ النَّادِمِينَ " وقف تام قال في المرشد في أصح الأقاويل" من" بعده ابتدائية متعلقة بكتبنا أي ابتداء الكتب وإنشاؤه من أجل قتل قابيل أخاه هابيل وهذا هو المشهور وعن نافع التمام " مِنْ أَجْلِ ذَلِك" على جعل" من" متعلقة بالنادمين أو بأصبح أي فأصبح نادما من أجل قتله أخاه[٣].

وإلى ما سبق جنح السخاوي في التفسير وصاحب مراح لبيد في تفسيره[٤].

وعلى هذا جعل العلماء هذه الآية الكريمة من قبيل وقف المراقبة قال صاحب معالم الاهتدا": ومن أمثلته في رؤوس الآي كلمة" النَّادِمِينَ " في

---

١ – المحرر الوجيز ص٥٣٤

٢ – زاد المسير ص٣٧٦

٣ – لطائف الإشارات ٤٢٠/٢

٤ – انظر تفسير السخاوي ٢٢٣/١، مراح لبيد ٢٢١/١

قوله تعالى" فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ " مع كلمة ذلك في قوله تعالى" مِنْ أَجْلِ ذَلِك " فيصح الوقف على كلتا الكلمتين على سبيل البدل، بمعنى أنه إذا وقف على الأولى تعين وصل الثانية بما بعدها، وإذا أريد الوقف على الثانية تعين وصل الأولى بها ولا يسوغ الوقف عليهما معا[1].

ثالثا: أثر معرفة الموصول المفصول في معرفة معنى الآية الكريمة

سبق أن ذكرت أن هذه الآية الكريمة لأنها من الموصول المفصول ظهر لها من المعاني معنيان في قوله تعالى" مِنْ أَجْلِ ذَلِك " فهذه الجملة التعليلية إما أن تتعلق بقوله" النَّادِمِينَ" قبلها ليكون حدوث الندم من أجل هذه الواقعة.

أو يتعلق بما بعدها وهي لفظ " كَتَبْنَا " أي لأجل هذه الواقعة كتبنا ويتفرع الوقف حسب المعنى كما سبق. والله تعالى أعلم

---

١ – النشر لابن الجزري ٢٣٨/١

المطلب الرابع: مواساة النبي صلى الله عليه وسلم

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى {وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم} [يونس: ٦٥] {فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [يس: ٧٦]

أولا: المعنى الظاهر من النصين الكريمين

يتبادر إلى ذهن القارئ والسامع لهذين النصين الكريمين عند وصلهما أن قول الكفار " إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " وقولهم" إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ " يحزن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا المعنى ما فيه من الإيهام الشديد، وذلك لأن هذا القول في كلتا الآيتين ليس من مقولهم، فالآيتان من الموصول لفظا المفصول معنى وهما مما تعين انقطاعه.

ثانيا: دراسة النص الكريم

نص علماء علوم القرآن الكريم على أن هذين النصين الكريمين من علم الموصول لفظا المفصول معنى، وعلى رأس هؤلاء ابن قتيبة الدينوري والزركشي في البرهان وابن عقيلة المكي في الزيادة والإحسان[١].

قال ابن قتيبة في معرض مدح اللغة العربية: ولها أي العرب الإعراب الذي جعله الله تعالى وشيا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارق في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكل منهما إلا

١ – البرهان ٥٢/١، الزيادة والإحسان ٤٨٥/٣

بالإعراب،... ثم قال ولو أن قارئا قرأ {فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } [يس: ٧٦]

وترك طريق الابتداء ب"إنا"، وأعمل القول فيه بالنصب على مذهب من ينصب " أن" بالقول كما ينصبها بالظن لقلب المعنى عن جهته، وإزاله عن طريقته، وجعل النبي عليه السلام محزونا لقولهم إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا كفر ممن تعمده، وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به ولا يجوز المأمومين أن يتجوزوا فيه[١].

وقال السمين الحلبي: قوله تعالى" إِنَّ الْعِزَّةَ " العامة على كسر إن استئنافا وهو مشعر بالعلية وقيل هو جواب سؤال مقدر كأن قائلا قال: لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن؟ فأجيب بقوله " إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " ليس لهم منها شيء فكيف تبالي بهم وبقولهم، والوقف على قوله" قَوْلُهُمْ " ينبغي أن يتعمد ويقصد، ثم يبتدأ بقوله" إِنَّ الْعِزَّةَ " وإن كان من المستحيل أن يتوهم أحد أن هذا من مقولهم إلا من لا يعتبر بفهمه[٢].

قال ابن عادل: قوله" وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ " وهاهنا تم الكلام، واعلم أن الله لما حكى عن الكفار شبهاتهم المتقدمة وأجاب عنها عدلوا إلى طريق آخر وهو أنهم هددوه وخوفوه بأنعم أصحاب أموال وأتباع فنسعى في قهرك وفي إبطال أمرك فأجاب الله تعالى عن هذا الطريق بقوله" وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ "

---

١ – تأويل مشكل القرآن ص١٤

٢ – الدر المصون ٦/٢٣٣

والوقف على " قَوْلُهُمْ " ينبغي أن يعتمد ويقصد ثم يبتدأ بقوله" إِنَّ الْعِزَّةَ " وإن كان من المستحيل أن يتوهم أحدا أن هذا من مقولهم إلا من لا يعتبر بفهمه[١].

ولهذا قال السجاوندي: والوقف على " قَوْلُهُمْ " لازم لئلا يصير" إِنَّ الْعِزَّةَ " من مقول الكفار[٢].

وقد أبان صاحب التحرير والتنوير عن هذا فقال" والوقف عند قوله" فلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ " مع الابتداء بقوله" إِنَّا نَعْلَمُ " أحسن من الوصل لأنه أوضح المعنى وليس بمتعين إذ لا يخطر ببال سامع أنهم يقولون " إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ " ولو قالوه كما كان مما يحزن النبي صلى الله عليه وسلم فكيف ينهى عن الحزن منه[٣].

قلت: ولست مع ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور وإلا لزم أن كل موضع ملبس في القرآن الكريم يجوز ألا يوقف عليه، اعتمادا على أنه لن يخطر ببال أحد هذا الوهم، وليس الحال كما توهم رحمه الله تعالى، لأن

---

١ – اللباب في علوم الكتاب لأبي جعفر عمر بن علي بن عادل الدمشقي ت٨٨٠هـ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض – محمد سعد رمضان – محمد المتولي الدسوقي حرب، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩=١٠،١٩٩٨/٣٦٨.

٢ – الوقف والابتداء ص٢٣٢

٣ – التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية ١٩٨٤، ٢٣/٧٣

العقول متفاوتة فالأولى إعمال الوقف والابتداء على وجههما لأنهما من متممات المعنى.

ثالثا: أثر علم الموصول لفظا المفصول معنى في بيان معنى الآية الكريمة

مما سبق يتضح جليا أن هاتين الآيتين الكريمتين من الموصول المفصول لذا وقع الوقف اللازم أثناءهما، وإلا لأوهما خلاف المراد كما نقلت عن العلماء قبل، وأختم بما قاله الكرماني رحمه الله: قوله تعالى" فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ " وفي يونس" وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " تشابها في الوقف على " قَوْلُهُمْ " في السورتين لأن الوقف عليه لازم و" إن" فيها مكسور بالابتدا لا بالحكاية ومحكي القول فيها محذوف، ولا يجوز الوصل لأن النبي صلى الله عليه وسلم منزه من أن يخاطب بذلك[1].

[1] – البرهان في متشابه القرآن للإمام محمود بن حمزة الكرماني ت ٥٠٠هـ، تحقيق أحمد عز الدين عبدالله خلف، ط دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠١٠، ص٣١٤

المطلب الخامس: لا تخفى على الله خافية

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [يونس: ٦١]

{لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [سبأ: ٣]

أولا: المعنى الظاهر من النصين الكريمين

يتبادر إلى الذهن من هذين النصين الكريمين في حالة الوصل أن يكون الذي يعزب عن علم الله تعالى لا يغيب إلا في كتاب كريم. ومعلوم فساد هذا الكلام.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هاتان الآيتان الكريمتان من الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم نص على هذا الزركشي في البرهان فقال: ومما يتعين أن يكون منقطعا قوله " وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ " مستأنف لأنه لو جعل متصلا ب" يَعْزُبُ " لاختل المعنى إذ يصير على حد قولك: ما يعزب عن ذهني إلا في كتاب أي استدراكه[١].

١ – البرهان ٥١/١

والإمام السخاوي في التفسير حيث قال: والوقف عند قوله" وَلَا فِي السَّمَاءِ " وإلا لزم أن يكون الذي يعزب عن علم الله لا يغيب إلا في كتاب مبين وهو كلام فاسد[1].

وقال الزمخشري: " وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ " القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل "مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ " فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف إشكال لأن قولك لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل[2].

وقال السمين الحلبي في حل هذا الإشكال الذي أثاره الزمخشري: وقد يزول هذا الإشكال بما ذكره أبوالبقاء وهو أن يكون " إِلَّا فِي كِتَابٍ " أي إلا هو في كتاب والاستثناء منقطع[3].

ولذا رأينا الأشموني في منار الهدى يقول: ومن الاستثناء ما يشبه المنقطع كقوله"{وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ ...مُبِين} [يونس: ٦١]

فقوله" إِلَّا فِي كِتَابٍ " منقطع عما قبله، إذ لو كان متصلا لكان بعد النفي تحقيقا، وإذا كان كذلك وجب أن يعزب عن الله تعالى مثقال ذرة وأصغر وأكبر منها إلا في الحال الذي استثناها وهو قوله" إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِين " وهذا لا يجوز أصلا بل الصحيح الابتداء بإلا على تقدير الواو أي وهو

---

١ – تفسير السخاوي١ /٣٦٩

٢ – الكشاف ١٥٢/٣

٣ – الدر المصون ٢٣٠/٦

أيضا في كتاب أي وهو أيضا في كتاب مبين، {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ...مُبِين} [الأنعام: ٥٩] [١].

ولله در أبي السعود عندما وضح هذه المسألة بما لا مزيد عليه فقال: {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ...كِتَابٍ مُبِين} [يونس: ٦١]

كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس وأصغر اسمها و "في كتاب" خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر.

ومن عطف على لفظ "مثقال ذرة" وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف، أو على محله على الجار جعل الاستثناء منقطعا كأنه قيل لا يعزب عنه شيء منها.

وقيل يجوز أن يكون الاستثناء متصلا، ويعزب بمعنى يبين ويصدر، والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء إلا وهو كتاب مبين، والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ[٢].

ثالثا: أثر الموصول لفظا المفصول معنى في بيان معنى الآيتين الكريمتين

من سرد كلام المفسرين قبل يتضح كيف أبان علم الموصول لفظا المفصول معنى عن معنى هاتين الآيتين الكريمتين حيث جعل الوقف في آية يونس عليه السلام على قوله تعالى" وَلَا فِي السَّمَاءِ" وفي آية سبأ على قوله تعالى" ولا في الأرض" ثم البدء فيهما بقوله تعالى" ولا أصغر من ذلك

---

١ – منار الهدى ص٧٤

٢ – تفسير أبي السعود ٦٨٢/٢

ولا أكبر..." حتى يزول الإشكال الوارد في الآيتين الكريمتين لو تم وصلهما لفظا ومعنى أو أن يتم الوصل وعندها لابد أن يرتكب لهما تأويل يوضح هذا الإشكال ويزيله. والله أعلم

وبعد هذا التطواف في هذا المبحث مع هذا القسم من أقسام هذا العلم نقف في المبحث الثالث مع القسم الثالث من هذا العلم وهو ما احتمل الاتصال والانقطاع في القرآن الكريم.

المبحث الثالث

محتمل الاتصال والانقطاع

وفيه

ثلاثة مطالب

المبحث الثالث: محتمل الاتصال والانقطاع من الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم

تمهيد بين يدي المبحث

نتناول بمشيئة الله عز وجل في هذا المبحث الآيات التي تكلم العلماء على كونها من متصل اللفظ منفصل المعنى في القرآن الكريم، لكنهم لم يقطعوا بكونها مما تعين اتصاله أو تعين انقطاعه فهي من قبيل المختلف فيه والله تعالى المستعان.

المطلب الأول: لمحة من قصة مريم عليها السلام

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى {قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٦]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

يظهر من هذا النص الكريم أن الجملة القرآنية " وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ " هل هي من كلام أم مريم عليها السلام أو من كلام الله تعالى بعد اتفاقهم على أن هذه الآية الكريمة من متصل المبنى منفصل المعنى في القرآن الكريم وفي السطور الآتية نقل لهذا الاختلاف.

قال ابن الجوزي: قوله تعالى" وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ " قرأ ابن عامر وعاصم إلا حفص ويعقوب" بِمَا وَضَعْتُ" بإسكان العين وضم التاء وقرأ الباقون بفتح العين وجزم التاء.

قال ابن قتيبة: من قرأ بجزم التاء وفتح العين فيكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى والله أعلم بما وضعت.

ومن قرأ بضم التاء فهم كلام متصل من كلام أم مريم[١].

ونقل ابن عطية هذا الكلام وزاد: وقرأ ابن عباس " وضعتِ" بكسر التاء على الخطاب من الله لها[٢].

وقال الفراء: قد يكون من أخبار مريم فيكون" وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ " بسكون العين وقرأ بضمها بعض القراء ويكون من قول الله تبارك وتعالى فتجزم التاء لأنه خبر من أنثى غائبة[٣].

وقال السخاوي موضحا للمعنى القرآني على كل قراءة: فمن قرأ " وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ" بضم التاء كان من كلامها يعني وأنت يا رب العالم بذلك، ومن قرأ " بما وضعتِ" وهو شاذ كان من الله، أو من كلام الملائكة، قيل لها لا تحتقري هذه المولودة فالله أعلم بجلال قدرها وإنه يخرج من ذريتها بني كريم على الله يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ومن قرأ" بِمَا وَضَعَتْ" كان من كلام الله وليس خطابا لها ومعناه أعلم بشرف هذه المولودة[٤].

وقد أظهر النسفي موضع الوقف على القراءة في هذه الآية الكريمة فقال: "وَضَعْتِ" شامي وأبوبكر بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة، وعلى هذا

---

١ – زاد المسير ص١٨٩

٢ – المحرر الوجيز ص٢٩٣

٣ – معاني القرآن ٢٢٨/١

٤ – تفسير السخاوي ١٣٧/١

يكون داخلا في القول، وعلى الأول يوقف عند قوله " أنثى" وقوله " وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ " ابتداء إخبار من الله تعالى[1].

ثالثا: معني الآية الكريمة على ما سبق

مما سبق يتضح أن في الآية الكريمة ثلاثة تأويلات على اثنين من هذه التأويلات الثلاثة الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى.

فإما أن تكون الجملة القرآنية " والله أعلم بما وضعت" من كلام أم مريم، أو من كلام الملائكة، أو من كلام الله سبحانه وتعالى، وقد سبق بيان ذلك تفصيلا. والله تعالى أعلم.

---

١ – تفسير النسفي ٢١١/١

المطلب الثاني: في ثراء معنى الموصول لفظا المفصول معنى

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور: ٣٦]

وقع بين العلماء خلاف عريض في هذه الآية الكريمة وذلك في تعلق الجار والمجرور في قوله تعالى" فِي بُيُوتٍ " فمن العلماء من جعله متعلقا ب{مِصْبَاحٌ} [النور: ٣٥] ومنهم من جعله متعلقا ب {يُسَبِّحُ } [النور: ٣٦] ومنهم من جعله متعلقا ب {يُوقَدُ } [النور: ٣٥] وعلى كل تعلق يظهر للآية الكريمة معنى يخالف غيره من المعاني، غير أن المتفق عليه أن هذه الآية الكريمة من متصل اللفظ منفصل المعنى في القرآن الكريم.

قال الزركشي: ومما يحتمل الاتصال والانقطاع قوله تعالى" فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ " يحتمل أن يكون متصلا بقوله " فِيهَا مِصْبَاحٌ " أي المصباح في بيوت ويكون التمام على قوله" وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ " و{يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ } [النور: ٣٦، ٣٧] صفة للبيوت ويحتمل أن يكون منقطعا خبرا لقوله{رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ } [النور: ٣٧][1].

قال أبو بكر ابن الأنباري: قوله تعالى" فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ " الجار والمجرور يحتمل وجهين:

---

١ – البرهان ٥١/١

أحدهما: أن يكون صفة مشكاة في قوله تعالى" كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ " وتقديره كمشكاة كائنة في بيوت.

الثاني: أن يكون متعلقا بقوله تعالى" يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا... الصَّلَاةِ } [النور: ٣٦، ٣٧][١].

وقال الزجاج" فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ " ويجوز أن تكون متصلة " يُسَبِّحُ " ويكون فيها تكريرا على التوكيد فيكون المعنى" يسبح لله رجال في بوت أذن الله لأن ترفع وتقرأ" يسبح له فيها" فيكون رفع رجال هاهنا على تفسير ما لم يسم فاعله، فيكون المعنى على أنه لما قال" يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا " كأنه قيل: من يسبح لله؟ فقيل يسبح لله رجال[٢].

وتابعه في قوله هذا ابن الجوزي في زاد المسير[٣].

وابن عطية في المحرر الوجيز[٤].

وزاد الشوكاني أن هذه الجملة القرآنية قد تتعلق بلفظ "توقد" أي توقد في بيوت، وقيل إنه لفظ منفصل عما قبله كأنه قال الله في بيوت أذن الله أن ترفع[٥].

---

١ – البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد أبي سعيد بن عبدالله الأنباري النحوي، تحقيق طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦، ١٩٦/٢

٢ – معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٥/٤

٣ – زاد المسير ص١٠٠٠

٤ – المحرر الوجيز ص١٣٦٣

٥ – فتح القدير للشوكاني ٤٣/٤ بتصرف

وقد أبان الأشموني على أن الوقف في هذه الآيات الكريمة على كل تعلق من هذه التعلقات فقال" عَلِيمٌ " تام إن علق" فِي بُيُوتٍ " ب " يُسَبِّحُ "بعد أي يسبح رجال في بيوت ومثله إن تعلق بمحذوف أي يسبحون في بيوت.

وليس بوقف إن جعل " فِي بُيُوتٍ" حالا للمصباح والزجاجة والكوكب أي: وهي في بيوت أذن الله في بنائها وليس" عَلِيمٌ " بوقف أيضا إن جعل " فِي بُيُوتٍ" صفة لمصباح أو صفة لزجاجة أو تعلق بتوقد وعلى هذه الأقوال كلها لا يوقف على" عَلِيمٌ "[1].

فأنت راء هنا أن هذه الآية الكريمة كم اختلف في تفسيرها العلماء، لكن هذا الخلاف أثرى المعنى القرآني المستخرج منها، وهذا ما هو إلا ثمرة من ثمرات معرفة أنها من متصل المبنى منفصل المعنى في القرآن الكريم. والله أعلم.

١ – منار الهدى ص٢٦٨

المطلب الثالث: توقير النبي محمد صلى الله عليه وسلم

الآية الكريمة موطن الشاهد

قال الله تعالى {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح: ٩]

أولا: المعنى الظاهر من النص الكريم

يظهر من النص الكريم أن الضمائر كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فالإيمان بالله ورسول الله صلى الله عليه وسلم والتعزيز والتوقير والتسبيح للرسول صلى الله عليه وسلم وليس هذا مرادا لما سيتضح عن قليل.

ثانيا: دراسة النص الكريم

هذه الآية الكريمة من موصول اللفظ مفصول المعنى في القرآن الكريم وقد نص على ذلك جمع من العلماء.

قال ابن قتيبة: ومن مخالفة ظاهر اللفظ معناه أن يخاطب الرجل بشيء ثم يجعل الخطاب لغيره قال تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الفتح: ٨] ثم قال " {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه...} [الفتح: ٩] [١].

وقد اختلف العلماء في الضمائر المذكورة في هذه الآية الكريمة، فمنهم من جعلها لله تعالى مطلقا، ومنهم من فرق بينهما، والجمهور على الثاني.

---

١ – تأويل مشكل القرآن ص٢٩٠

فممن حكى هذا الخلاف ابن عطية حيث قال: قوله تعالى" وَتُعَزِّرُوهُ..." هي كلمة لله تعالى، وقال الجمهور " وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ " هما للنبي صلى الله عليه وسلم "وَتُسَبِّحُوهُ" هي لله تعالى[١].

وممن سار مع الجمهور القسطلاني قال" وَتُوَقِّرُوهُ " على أن الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم وفي" وَتُسَبِّحُوهُ " لله تعالى[٢].

وقال السجاوندي: والوقف على " وَتُوَقِّرُوهُ " مطلق للفصل بين ضمير اسم الله تعالى في " وَتُسَبِّحُوهُ " وضمير اسم رسوله في " وَتُوَقِّرُوهُ "[٣].

قال القشيري رحمه الله تعالى: قرئ " ليؤمنوا" بالياء لأن ذكر المؤمنين اختياري أي ليؤمن المؤمنون بالله ورسوله ويعزروه ووينصروه أي الرسول ويوقروه أي يعظموا الرسول و" وَتُسَبِّحُوهُ " أي تسبحوا الله وتنزهوه بكرة وأصيلا.

وقرئ " لتؤمنوا" بالتاء أيها المؤمنون بالله ورسوله وتعزروه على المخاطبة، وتعزيزه يكون بإيثاره بكل وجه على نفسك، وتقديم حكمه على حكمك، وتوقيره يكون باتباع سنته والعلم بأنه سيد بريته[٤].

وممن توسع في ذكر هذا القرطبي رحمه الله فقال: " وَتُعَزِّرُوهُ " " وَتُوَقِّرُوهُ " الهاء فيها للنبي صلى الله عليه وسلم، وهنا وقف تام، ثم تبتدئ " وَتُسَبِّحُوهُ

---

١ – المحرر الوجيز ٧٣١/١

٢ – لطائف الإشارات ٦٣٧/٣

٣ – الوقف والابتداء للسجاوندي ص٤٠٨

٤ – لطائف الإشارات للقشيري ٤٢١/٣

" أي تسبحوا الله "بُكْرَةً وَأَصِيلًا " أي عشيا، وقيل الضمائر كلها لله تعالى فعلى هذا يكون تأويل " وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ " أي تثبتوا له صحة الربوبية، وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك، واختار هذا القول القشيري، والأول قول الضحاك، وعليه يكون بعض الكلام راجعا إلى الله سبحانه وتعالى وهو " وَتُسَبِّحُوهُ " من غير خلاف، وبعض راجعا إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو " وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ " أي تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية وفي " وَتُسَبِّحُوهُ " وجهان أحدهما: تسبيحه بالتنزيه له سبحانه من كل قبيح، والثاني: هو فعل الصلاة التي فيها تسبيح[١].

وقد أورد هذا الكلام السخاوي في تفسيره غير أنه مال إلى عدم التفريق بين الضمائر فقال: ومن فرق بين الضمائر فقد أبعد[٢].

ثالثا: أثر علم الموصول لفظا المفصول معنى في بيان معنى الآية الكريمة

من سرد كلام المفسرين سابقا يتضح جليا أن هذه الآية الكريمة من الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم، والتي يظهر معناها المراد في ضوء هذا، ودون ذلك يقع المفسر لها في إشكال كبير، وهو نسبة التسبيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والحال أنها من الموصول لفظا المفصول في المعنى.

---

١ – تفسير القرطبي ٦٠٨٧/٩

٢ – تفسير القرآن العظيم للسخاوي ٣٥٣/٢

قال ابن الجوزي: وقد تجمع العرب بين شيئين في كلام فيرد كل واحد منهما على ما يليق به، وفي القرآن" وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ " فالتعزير والتوقير للرسول والتسبيح لله عز وجل[١].

فهذه الآية الكريمة من قبيل هذا، وعليه فهي موصولة اللفظ مفصولة المعنى، فالتعزير والتوقير للنبي صلى الله عليه وسلم، والتسبيح لله سبحانه وتعالى .والله أعلى وأعلم وأجل وأكرم.

١ – المدهش لابن الجوزي ص٣٨

الخاتمة نسأل الله تعالى حسنها

وبعد هذا التطواف مع هذا البحث في كتاب الله تعالى في موصول اللفظ مفصول المعنى وأثره في التفسير، أتوجه إلى الله تعالى بالحمد والثناء عليه تعالى بما هو أهله، فما كان من فضل فمنه وحده تعالى، بحوله وقوته لا بحولنا ولا قوتنا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وما كان من تقصير فمن نفسي والشيطان، والله تعالى ورسوله منه بريئان، وأتمثل قول الحريري في ختام ملحته

وإن تجد عيبا فسد الخللا... جل من لا عيب فيه وعلا

وفي السطور الآتية هذه أهم النتائج والتوصيات التي بانت لي من خلال معايشتي لهذا العلم الجليل من علوم القرآن.

أهم النتائج التي بانت من خلال البحث:

أولا: علم الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم من العلوم التي تستأهل أن تكون علما برأسها في علوم القرآن الكريم.

ثانيا: لا غنى للمفسر عن تحصيل هذا العلم قبل الخوض في غمار التفسير، حتى لا يقع في إشكالات عويصة ومعضلات مهلكة، يتحير فيها بين المعاني المرادة والمعاني غير المرادة من آيات القرآن الكريم.

ثالثا: علم الموصول لفظا المفصول معنى باب كبير من أبواب الوقف والابتداء في القرآن الكريم لا يتم المعنى إلا بمراعاته.

رابعا: لعلم الموصول لفظا المفصول معنى في القرآن الكريم كبير الأثر في توليد المعاني من آيات القرآن الكريم.

خامسا: مراعاة هذا العلم تحل الكثير من الإشكالات الموهمة التي تخالف الهدي القرآني وترد على بعض الشبهات التي تثار حول بعض الآيات الكريمة.

سادسا: مراعاة هذا العلم ترشح وترسخ للإعراب الصحيح وتظهر عوار الإعراب الذي يوهم خلاف المراد من النص الشريف.

سابعا: ينقسم هذا العلم في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام رئيسة وهي: ما تعين اتصاله – ما تعين انقطاعه – ما احتمل الاتصال والانقطاع.

ثامنا: يتقاطع هذا العلم الجليل مع باب الوصل والفصل من علوم البلاغة في بعض الشواهد والأمثلة فالنسبة بينهما العموم والخصوص الوجهي.

تاسعا: يقع هذا العلم في جميع أنواع الوقف الجائز في القرآن الكريم من تام وحسن وكافي ووقف المراقبة وما شابه.

أهم التوصيات التي بانت من خلال معايشة هذا البحث

أولا: وصيتي إلى القائمين على قسم التفسير في جامعة الأزهر الشريف حفظه الله تعالى بأن يوجهوا طلاب العلم من المقدمين على تسطير رسائل جامعية للماجستير والدكتوراه إلى الاهتمام بهذا الجانب من جوانب البحث في القرآن الكريم وعلومه

ثانيا: أوصي بإعداد مقرر دراسي يهتم بالوجوه البلاغية في القرآن الكريم يدرس على طلاب الإجازة العالية في كليات الجامعة الأزهرية ليوقف الطالب على هذه الجوانب المضيئة من العلم.

ثالثا: أوصي القائمين على أقسام التفسير وعلوم القرآن على مستوى الجامعة الأزهرية بعمل سيمنار جامعي لاستخراج علوم القرآن الكريم التي تشابه هذا العلم ومن ثم توجيه طلاب العلم إلى الكتابة في هذه العلوم القرآنية الجليلة.

رابعا: تضمين كتب التجويد التي تدرس على الطلاب بعض أمثلة هذا العلم الجليل من علوم القرآن للوقوف على هذا النوع من أنواع الوقف والابتداء ومن ثم مراعاته في القراءة بعد ذلك.

خامسا: وصيتي إلى المتخصصين في الحديث الشريف وعلومه بالبحث في متصل المبنى منفصل المعني في السنة النبوية المطهرة وأثره في فهم الحديث النبوي الشريف.

ثبت بأهم المراجع التي استقى منها البحث مادته العلمية

١-القرآن الكريم جل من أنزله

٢-الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحقيق مركز الدراسات القرآنية.

٣-أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله العربي المالكي ت٥٤٣هـ ، تحقيق عبد الرازق المهدي، ط دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٤٣٠= ٢٠٠٩.

٤-إعراب القرآن لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي الأصبهاني الملقب بقوام السنة ت٥٣٥هـ ، تقديم د. فائزة بنت محمد المؤيد، ط١٤١٥=١٩٩٥.

٥-أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٦٩١هـ، تقديم محمود عبد القادر الأرناؤوط ، ط دار صادر بيروت، ط٢، ٢٠٠٤.

٦-إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل للعلامة أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ت ٣٢٨هـ، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، ط ١٣٩١=١٩٧١، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٧-بحر العلوم للعلامة نصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ط دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦= ١٩٩٦.

٨- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت٧٩٤ هـ، ط مكتبة التراث ١٣٧٦=١٩٥٧.

٩- البرهان في متشابه القرآن للإمام محمود بن حمزة الكرماني ت ٥٠٠هـ، تحقيق أحمد عز الدين عبدالله خلف، ط دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠١٠.

١٠- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد أبي سعيد بن عبدالله الأنباري النحوي، تحقيق طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.

١١- تأويل مشكل القرآن لعبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزي الدينوري ت ٢٧٦هـ، شرح السيد أحمد صقر، ط المكتبة العلمية بيروت، ط ٣، ١٤٠١= ١٩٨١.

١٢- التحبير في علوم التفسير لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٨= ١٩٨٨.

١٣- التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية ١٩٨٤.

١٤- التسهيل لعلوم التنزيل للعلامة أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ت٧٤١هـ، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم ، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٥= ١٩٩٥.

١٥- تفسير أبي الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني ت ٣٨٤، وهو المسمى الجامع لعلم القرآن ، جمع وتحقيق د. خضر محمد نبها، تقديم د. رضوان السيد، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

١٦- تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي ت٣١٩هـ ، تحقيق خضر محمد بنها، تقديم د. رضوان السيد، طدار الكتب العلمية بيروت، ط١ن ١٤٢٨= ٢٠٠٧.

١٧- تفسير أبي علي الجبائي ت٣٠٣هـ، تحقيق خضر محمد بنها، تقديم د. رضوا ن السيد، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٨= ٢٠٠٧.

١٨- تفسير أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني ت٣٢٢هـ ، دراسة وتحقيق د. صقر محمد بنها، تقديم د. رضوان السيد ، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

١٩- تفسير الجلالين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ت٨٦٤هـ وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ ، ط الشعب بدون.

٢٠- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ، تحقيق محمود بن الجميل، وليد محمد سلامة، خالد محمد عثمان، ط مكتبة الصفا، ط١، ١٤٢٥= ٢٠٠٤.

٢١- تفسير القرآن العظيم لعز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ت٦٦٠هـ من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة، رسالة دكتوراه، إعداد يوسف محمد رحمة الشامي، إشراف عبد الستار فتح الله سعيد ١٤١٨=١٩٩٨، ط أم القرى.

٢٢- تفسير القرآن العظيم للإمام علم الدين بن أبي الحسن علي بن محمد عبد الصمد السخاوي المصري ت٦٤٣، تحقيق د.موسى علي موسى

موسى مسعود، د.أشرف محمد عبد الله القصاص، ط دار النشر للجامعات، ط ١، ١٤٣٠=٢٠٠٩.

٢٣- تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي ، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط ١، ١٩٩٠.

٢٤- تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم للإمام عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبدالرحمن بن الحكم اللخمي الإفريقي ثم الإشبيلي المعروف بابن برجان ت٥٣٦، تحقيق د. فاتح حسني عبد الكريم، مراجعة د. رأفت محمد رائف المصري، ط دار النور المبين، ط ١، ٢٠١٦.

٢٥- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين للعلامة أبي الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي ت١١١٨هـ، تقديم محمد الشاذلي النيفر، نشر مؤسسة عبد الكريم عبد الله.

٢٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ت٣١٠هـ ، ط مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

٢٧- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري القرطبي، ط دار الريان للتراث، بدون.

٢٨- حاشية أحمد بن محمد الصاوي المصري ت ١٢٤١هـ على تفسير الجلالين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ط مكتبة القدسي ، ط٢، ٢٠٠٦.

٢٩- حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للسيد أحمد الدمنهوري، ط مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ط٢،١٣٧٠= ١٩٥٠.

٣٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت ٧٥٦هـ ، تحقيق د. أحمد محمد الخراط ، ط دار القلم ، دمشق،١٤٠٦.

٣١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ، ط دار الفكر العربي بيروت، بدون.

٣٢- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ت٤٣١هـ ، عناية الشيخ خليل مأمون شيحا، ط دار المعرفة بيروت، ط٢، ١٤٣٣= ٢٠١٢.

٣٣- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت٥٩٧هـ، ط دار ابن حزم بيروت ، ط ١، ١٤٢٣=٢٠٠٢.

٣٤- الزيادة والإحسان في علوم القرآن للإمام محمد بن أحمد بن عقيلة المكي ت١١٥٠هـ، تحقيق فهد علي العندس – إبراهيم محمد محمود – مصلح عبد الكريم السامري – خالد عبدالكريم اللاحم – محمد صفاء حقي، ط مركز تفسير للدراسات القرآنية الرياض ، ط٢، ١٤٣٦= ٢٠١٥.

٣٥- السنن للإمام ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٣هـ، ط دار إحياء الكتب العربية، بدون.

٣٦- السنن للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ، ط دار الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٣٧- السنن للإمام أبي عيسى محمد بن سورة بن عيسى الترمذي ت ٢٧٩هـ ، ط مصطفى الحلبي ١، بدون.

٣٨- السنن للإمام النسائي أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت ٣٠٣هـ، ط مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ =١٩٨٦م.

٣٩- عجائب علوم القرآن لأبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن علي بن جعفر الجوزي ت٥٩٧هـ، تحقيق د. عبد الفتاح عاشور، ط الزهراء للإعلام العربي، ط ١ ،١٤١٥= ١٩٩٥.

٤٠- عقود الجمان في المعاني والبيان لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، ط مصطفى البابي الحلبي وشركاه ١٣٥٨=١٩٣٩.

٤١- علوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغي ، ط دار الكتب العلمية ، ط ٤، ١٤٢٢= ٢٠٠٢.

٤٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني ت١٢٥٠، تحقيق سيد إبراهيم، ط دار الحديث، ١٤٢٣=٢٠٠٣.

٤٣- الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط مكتبة الصفا، ط١، ١٤١٨=١٩٩٨.

٤٤- كشف الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن لأبي يحيي زكريا الأنصاري شيخ الإسلام، تحقيق محمد علي الصابوني، ط دار القرآن الكريم بيروت، ط١ ، ١٤٠٣=١٠٨٣.

٤٥- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن ت٧٢٥هـ وبهامشه تفسير البغوي، ط دار الفكر، ١٣٩٢=١٩٧٩.

٤٦- اللباب في علوم الكتاب لأبي جعفر عمر بن علي بن عادل الدمشقي ت٨٨٠هـ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض – محمد سعد رمضان – محمد المتولي الدسوقي حرب، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩=١٩٩٨.

٤٧- لطائف الإشارات لزين الإسلام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري ت٤٦٥ هـ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق د. إبراهيم البسيوني، ط٤، ٢٠٠٧.

٤٨- لطائف الإشارات لفنون القراءات للحافظ أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني ت٩٢٣هـ، تحقيق عبد الرحيم الفرهوني، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م.

٤٩- محاسن التأويل للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء الكتب العربية، بدون.

٥٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ت٥٤٥هـ، ط دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣=٢٠٠٢.

٥١- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للعلامة أبي البركات أحمد بن محمد بن محمود النسفي ت٧١٠هـ ط الهيئة العامة المصرية لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ٢٠١٠.

٥٢- المدهش لأبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي ت ٥٩٧هـ، ضبط وتصحيح د. مروان القباني، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٤٦=٢٠٠٥.

٥٣- مراح لبيد تفسير النووي المسمى التفسير المنير لمعلم التنزيل للعلامة الشيخ محمد نووي الجاوي، ط دار الفكر، ١٤٢٨=٢٠٠٧.

٥٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اله صلى الله عليه وسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ت ٢٦١هـ ، ط دار إحياء التراث العربي، بدون.

٥٥- معالم الاهتدا في معرفة الوقف والابتدا للشيخ محمود خليل الحصري، ط مكتبة السنة، ط١، ١٤٢٣=٢٠٠٢.

٥٦- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ت٥٦١هـ، ط دار الفكر، ١٢٩٢= ١٩٧٩ على هامش تفسير الخازن.

٥٧- معاني القرآن الكريم لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المعروف بالنحاس أو بابن النحاس ت ٣٣٨هـ، تحقيق محمد على الصابوني، ط١، ١٤٠٨=١٩٨٨ ط جامعة أم القرى .

٥٨- معاني القرآن لأبي زكريا يحيي بن زياد الفراء ت٢٠٧هـ، تعليق: صلاح عبد العزيز السيد، محمد مصطفى الطيب، د. عبد العزيز محمد فاخر ، ط دار السلام القاهرة، ط ١، ١٤٣٤=٢٠١٣.

٥٩- معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، ط عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥=١٩٨٥.

٦٠- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج ت٣١١هـ ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨=١٩٨٨.

٦١- مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ت٤٢٥هـ، ط دار القلم ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط٥، ١٤٣٣= ٢٠١١.

٦٢- المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتدا لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ط مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٣=١٩٧٣.

٦٣- المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت٤٤٤هـ ، دراسة وتحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط مؤسسة الرسالة ، ط٢ ،١٤٠٧=١٩٨٧.

٦٤- منار الهدى في معرفة الوقف والابتدا للعلامة أحمد بن محمد عبد الكريم الأشموني، ط مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ط٢ ،١٣٩٣= ١٩٧٣.

٦٥- مواقع العلوم من مواقع النجوم للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني ت ٨٢٤هـ، دراسة وتحقيق أنور محمود المرسي خطاب ، ط مكتبة الصحابة بطنطا ٢٠٠٧.

٦٦- الموسوعة القرآنية المتخصصة إشراف د. محمود حمدي زقزوق، يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م.

٦٧- النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري ت٨٣٣هـ، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، ط دار الكتب العلمية بيروت بدون .

٦٨- الوجيز في تفسير القرآن العزيز للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ت٤٦٨هـ على هامش مراح لبيد تفسير النووي، ط دار الفكر بيروت،١٤٢٨= ٢٠٠٧.

٦٩- الوقف اللازم في القرآن الكريم لأبي عبد الرحمن جمال بن إبراهيم القرشي، ط١، ١٤٢٧هـ، ط الدمام.

٧٠- الوقف والابتداء لأبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي ت٥٦٠هـ ، دراسة وتحقيق د. حسن هاشم موسى، ط دار المناهج، ط١، ١٤٢٢=٢٠٠١.

٧١- الوقف والابتداء لأبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي ت٥٦٠هـ، دراسة وتحقيق د. محسن هاشم، ط دار المناهج، ط١، ١٤٢٢= ٢٠٠١.